أحمد عبد الحليم أبو رمان

أنينُ المذنبينَ وحنينُ المحبِّين

زادُ المهاجر إلى ربِّهِ

يَستفيدُ منهُ الدّاعيةُ
والخطيبُ والواعظُ

الطبعة الثانية
١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
هاتف واتس+٩٦٢٧٧٢٢٤١٦٥١
Aburumman.ah@jmail.com

٢٦٢,٥
أبو رمان، أحمد عبد الحليم
أنين المذنبين وحنين المحبّين: زاد المهاجر إلى ربِّه
أحمد عبد الحليم جميل أبو رمان
المؤلف، ٢٠١١
ر.أ: (٤٤٧/ ١/ ٢٠١١)
الواصفات: / الزهد/ الرقائق/ الإسلام

تم إعداد بيانات الفهرسة الأوليّة من قِبل دائرة المكتبة الوطنيّة
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة
(٤٤٧/ ١/ ٢٠١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يَهْدِه اللهُ فهو المهتد ومن يُضْلِلْ فلن تجد له وليّاً مُرشداً.

وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، وصفيهُ من خلقِه وخليلُه. أدّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح لهذه الأمَّة بصدقٍ وإخلاصٍ وأمانة؛ حتّى تركها على مَحجَّة بيضاء ليلُها كنهارها، لا يَزيغُ عنها إلا هالك، ولا يَتنكَّبُها إلا ضال. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

أما بَعدُ؛ فهذه كلماتٌ متنوعةٌ، وآثارٌ مُنتقاة وأخبارٌ مُصطفاه وقصصٌ مؤثِّرة وصورٌ ناطقة؛ جعلناها للسَّالكين طريق سيِّد المرسلين زاداً، وللمهاجرين إلى الله ربِّ العالمين مُؤنساً ومُرشداً.

فيها نماذجَ للصدِّيقين والطّائعين، وسيراً لأصحابِ الهمم العالية والنفوس الأبيّة، تجدُ في حناياها بُكاءً للمذنبين وأنيناً للعصاة والمقصِّرين، وبين جنباتِها تَسمعُ حنين المشتاقين لله ربِّ العالمين، ولهجَ المسبِّحين باسمه العظيم.

فإن وجدتَ خللاً فَسُدَّه، وإنْ كان من نُصح فهاتِهِ، فالمؤمنُ كثيرٌ بإخوانه.

الإهداء

إلى (**والدَّي الكريمين**) اللذين لهما حقٌّ عليَّ كبير رحمهما الله.

إلى بلاد الحرمين حيثُ تبوك أيممُ وجهي وأقدِّمه إلى الأخ العزيز والصديق الكبير: (**حمود لافي العنزي أبو عبد العزيز**).

إلى (**زوجتي الغالية أم معاذ**).

وإلى قرَّة عيني بنتي (**بيان**).

إلى (**المهاجرين إلى اللهِ**) بأرواحهم وأجسادهم، الباذلين أنفُسهم ومهجهم في سبيله.

أقدِّم هذا العمل

حَبسُ الأنفاس

اعْلَمْ -أيُّها القارئ- أنّك ستَحبِسُ أَنفَاسك عند بعض المواقف؛ لشِدَّة التّأثّر بها، ولانبِهارِكَ بعُلُو هِمم القوم، فتشتعل نارُ الشَّوق في سويداء القلب والأَعماق، وتتنهد عند أُخرى حَسْرةً على فوَات العُمر في التَّقصير والتَّفريط في جَنْب الله؛ فتتأسف لذلك وتتألّم.

وهذا هو المقصودُ والمرادُ من هذه الرِّسالة؛ أنْ تُعيدَ الحسابات، وتجمعَ شَتاتَ القلبِ، وتغتنمَ ما بَقي من العُمر خيرَ اغتنام، وتجعلَ من حياتك طريقاً للجنَّة والرِّضوان.

قال أبو الدّرداء رضي الله عنه : (أَخوفُ ما أَخافُ إذا وقفتُ على الحساب؛ أنْ يُقال لي: قد عَلِمتَ؛ فما عَمِلتَ فيما عَلِمتَ؟) [الحلية].

كهؤلاء نريد أنْ نكونَ

(رجالٌ مُؤمنون ونساءٌ مؤمنات؛ يحفظُ اللهُ بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أَجلى، وسَرائرهم كعلانيتهم بل أَحلى، وهِممهم عند الثُّريا بل أَعلى، إن عُرفوا تنكَّروا، وإن رُئيت لهم كرامة أنكروا، النَّاسُ في غفَلاتهم وهم في قَطْعِ فلاتِهم [الأرض الجرداء] تُحِبّهم بِقاعُ الأرض، وتفرحُ بهم أَملاكُ السّماء.

نسألُ الله ﷻ التَّوفيق لاتِّباعهم، وأنْ يَجعلنا من أَتْباعهم).

قالهُ ابنُ الجوزيِّ رحمه الله **في كتابه «صيد الخاطر».**

كَرِّرْ عليَّ حَديثَهُم يا حادِي فحديثُهُم يَجْلُو الفؤادَ الصَّادِي

لماذا الحديثُ عنهم؟

أَعني: الأتقياء الأنقياء، العظماء الصُّلحاء، أصحابُ الهِمم العالية والنُّفوس الزكيّة، أَهلُ التُّقى والورع والزّهد والعفاف، التائبون العابدون، أهلُ الكرم والجود، الصّادقون المخْلِصون الأوفياء، أهلُ الشَّهامة والمروءة.. إلخ

نتحدَّثُ عنهم؛ لأنّهم شَرِبوا من **النَّبع الصَّافي: الكتاب والسُّنَّة**، وتربّوا على منهاج النُّبوة وطريق الصّحابة، فكانوا نِعم السَّلف لمن خَلَف.

نتحدَّثُ عنهم؛ لنقتفي آثارهم، ونسلك طريقهم، وننشط لنرتقي بِهِمَمنا عند سماع أَخبارهم إلى أعلى المراتب.

مع تأكيدنا وتشديدنا على أنَّه ما مِن أحدٍ إلا يُؤخَذُ مِن قولِه ويُردُّ؛ إلا النَّبيّ ﷺ، فهو المعصومُ.

قال حَمدون القَصَّار رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَن نَظَرَ في سِير السَّلف؛ عَرَفَ تقصيرَهُ وتخلّفَهُ عن درَجات الرِّجال) [صفة الصفوة].

وقال أبو حَنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحكاياتُ عن العلماء أَحبُّ إليَّ مِن كثير مِن الفقه؛ لأنَّها آدابُ القوم) [أزهارُ الرياض في أخبار القاضي عياض].

فتَشَبّهوا إنْ لم تكونوا مِثلهم ... إنَّ التَّشبهَ بالكرامِ فلاحُ

استعن بالله

ليس الأَمرُ بالمستحيل، ولا الوصول إلى مراتبهم شيءٌ عجيب؛ استعن بالله ولا تعجز، وتوكَّل عليه ولا تتردّد.

✍ **قال ابنُ الجوزيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المدهش»:** (فانهض وبادر، ولا تَستصعب طريقَهم، فالـمُعينُ قادرٌ، تَعرَّض لمن أَعطاهم، وسَل.. فمَولاكَ مَولاهُم. رُبَّ كنز وقَعَ بِه فقيرٌ، ورُبَّ فضلٍ فاز بِه صغيرٌ).

✍ **وفي نَفْس الكتاب قال:** (قد سمعتَ أخبارَ المتّقينَ؛ فَسِر في سِربِهم، وقد عرفتَ جِدَّهم؛ فتناول من شِربِهم، ثم سل من أعانهم يُعنك).

✍ **وقال ناصحاً ولدَهُ أبا القاسم:** (ومتى رأَيتَ في نَفْسكَ عجزاً فسل المُنعِم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفِّق، فلن تنالَ خيراً إلا بطاعته، ولا يَفوتكَ خيرٌ إلا بمعصيته، ومَن الذي أَقبلَ عليه فلم يَر كلَّ مرادٍ لديه؟

ومَن الذي أعرض عنهُ فمضى بفائدة أو حَظِيَ بغرض من أغراضِهِ؟) [لفتة الكبد في نصيحة الولد].

✍ **قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ:** (تأمَّلتُ أَنفعَ الدُّعاء؛ فإذا هو: سؤال الله العَونَ على مَرضَاتِهِ) [مدارج السَّالكين].

✍ **وكَتبَ الحسنُ إلى عمر بن عبد العزيز:** (لا تَستَعن بغير الله؛ فيَكِلُكَ اللهُ إليه) [جامع العلوم والحكم].

هذا هو المهم

● **قال الشّيخ المحدِّث محمّد ناصر الدِّين الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ: (طريقُ الله طويل، ونحنُ نَمضي فيه كالسّلحفاة! وليس الغاية أنْ نصلَ لنهاية الطّريق؛ **ولكن الغاية أَنْ نموتَ على الطّريق**).

● **ويقول الشيخ محمّد الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليست العودة للإسلام أن نكتبَ على رايتنا: (**الله أكبر**) بل العودة إلى الإسلام أن نملأ قلوبنا بـ (**الله أكبر**) ونجعلَها باعثَ أعمالنا وهدفَ حياتنا).

● **وبهذا المعنى قال بعضُهم:**

(لا تنظر إلى مكانك في الصَّفِّ؛ ولكن تأكَّد أنّك في الصَّفِّ).

● **وعلى ذات المِنوال قيل:**

(ليس المهم من يَرفع الرَّاية؛ ولكن المهم أن تُرفع الرَّاية).

السِّباق إلى الله

✍ **قال وهيب بن الورد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنْ استطعتَ ألّا يَسبِقك إلى الله أحدٌ؛ فافعَلْ) [القواعد الحِسان في أسرار الطَّاعة].

✍ **وقال أحدُ العُبَّاد:** (لو أنَّ رجلاً سمعَ برجل هو أطوع لله منه، فمات ذلك الرَّجل غمًّا؛ ما كان ذلك بكثير) [القواعد الحِسان].

لا بدَّ مِن المجاهدة

الوصول إلى الله يحتاجُ جُهداً وجِهاداً، وصبراً ومصابرةً، وبذلاً وعطاءً، وإقداماً وسِباقاً.

✍ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(تَذَكَّرْ حلاوة الوِصال؛ يَهُنْ عليك مُرُّ المجاهدة) [الفوائد].

✍ **وكان عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول:** (والله لأجتهِدنَّ[1] ثُمَّ والله لأجتهِدنَّ، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإلا لم أُلُم نفْسي) [جامع العلوم والحكم].

✍ **وقال أبو يزيد البسطامي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما زلتُ أَسوقُ نَفْسي إلى الله تعالى وهي تبكي؛ حتّى سُقتُها وهي تضحك) [صيد الخاطر].

لأستسهلنَّ الصَّعبَ أو أُدْرِكَ المنَى فما انقادت الآمالُ إلا لصابر

---

[1] أي: في العبادة وطاعة الله.

صور مُشرقة

◆ **كان أبو إدريس الخولانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم الليل حتّى تتورّم قَدَمَاهُ، ويقول:**

(والله لننافِسنَّ أصحابَ محمَّد ﷺ على محمَّد؛ حتّى يَعلَموا أنّهم خَلّفوا وراءَهم رجالاً) [صفة الصفوة].

◆ **قال شمسُ الدِّين محمَّد بن عثمان التّركستاني رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(ما بَلَغني عن أحدٍ مِن النَّاس أنّه تعبَّد عبادةً؛ إلا تعبّدتُ نظيرَها وزِدتُ عليه) [سباق نحو الجِنان].

◆ **وكان خُلَيْد العصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَذكرُ اللهَ حتّى تَطلُعَ الشَّمسُ**، ثم يُغلق بابه فينادي على الملائكة ويقول: مرحباً بملائكةِ ربِّي، والله لأشهِدنَّكم اليومَ من نَفْسي خيراً.. خذوا: (**بسم الله، سبْحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر**)، ولا يزال كذلك حتّى تَغلبهُ عيناهُ، أو يَخرجَ للصلاة. [هبّي يا ريح الإيمان/ بتصرف].

◆ **قال مهدي بنُ ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(مكَثَتْ حفصةُ بنتُ سيرين ثلاثين سَنَة لا تَخرجُ من مُصَلّاها؛ إلا لقائلة، أو قضاء حاجة) [السير].

◆ **بل وصلَ الأمرُ بالقوم إلى محاسبة النفس على خطواتها، قال محمّد بنُ الفضل البَلخي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ما خطوتُ مُنذُ أربعين سَنة خطوة لغير الله عزَّ وجلَّ) [جامع العلوم والحِكم].

صاحب الهِمَّة

قال أحمد بنُ محمَّد النهاوندي رَحِمَهُ اللَّهُ: (صاحبُ الهِمَّة إنْ شغلتَهُ يدُهُ اليُسرى عن الله؛ يَقطعها بيدِه اليُمنى) [نفحاتُ الأنس].

قف عند هذا الأثر، وأَعِدهُ مرَّة تِلو أُخرى على الأَثر، وانظر هل أَحدَث في قلبِك مِن تغيير أو أَثر؟!!

قال ابنُ عطاء الله السَّكندري رَحِمَهُ اللَّهُ: (من لم تَكن له بدايةٌ مُحْرِقَة؛ لم تكن له نهايةٌ مُشْرِقَة) [صفحات من صبر العلماء].

أمّا عبد الرّزاق البيطار رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول:

(إنَّ الكامل؛ هو الذي يَشتغلُ بما يحِلُّهُ، لا بما يُسقِطُه في أودية الهوان ويذلّه) [حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر].

أنت والخيل

قال موسى الطَّلْحِيُّ: (اجتَهدَ أبو موسى الأَشعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبل موتِهِ اجتهَاداً شَديداً، فقيلَ له: لو أمسَكْتَ ورفَقتَ بنَفْسكَ!

قَالَ: إنَّ الخيلَ إذا أُرسِلتْ فقَارَبتْ رأسَ مجْرَاهَا، أَخرَجَت جميعَ ما عِندها؛ والذي بقيَ مِن أجَلِي أقلُّ من ذلك) [السير].

الاستعدادُ للرّحيل

- جاء في «رياض الصَّالحين» للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه قال:

(نَقَلوا: أنَّ أَهلَ المدينةِ كانوا إذا بَلَغَ أَحدُهُم أربعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعبادة).

- وقال عبد الله بن داود رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان أحدُهم إذا بلغَ أربعينَ سَنةً؛ طوى فراشَهُ. أي كان لا ينام طول الليل) [إحياء علوم الدِّين].

● جاء في كتاب «التذكرة الحمدُونية»: قال مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا بلَغَ أحدُكم أربعينَ سَنَةً؛ فليأخذ حِذْرَهُ من الله).

● قال النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يَطلُبون الدُّنيا، فإذا بَلَغوا الأربعين؛ طلبوا الآخرة) [التذكرة الحمدُونية]

● وقال سُفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (من بلغَ ستينَ سَنة فليشتر كَفناً) [مجتمع المثل].

● قال هلال بن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان الرَّجل من أَهل المدينة إذا رأى الشَّيبَ في لحيتِهِ أو رأسِهِ؛ تَرَكَ الدُّنيا، وتَفَرَّغَ للعبادة) [تذكرة المتقين].

● وكأني بهم يتمثَّلون قول الشاعر صالح بن عبد القدوس:

فدع الصبا فلقد عَدَاكَ زمانُه ... وازهدْ فعمرُكَ مَرَّ منه الأطيبُ
ذهبَ الشبابُ فما له مِن عودةٍ ... وأتى المشيبُ فأين منهُ المهربُ
دع عنكَ ما قد كان في زمن الصِّبا ... واذكُر ذُنُوبَكَ وابكها يا مُذنِبُ

حرصٌ على الخير

كان صفوان بن سُليم رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَكادُ يَخرجُ مِن مسجد النبيِّ ﷺ، فإذا أرادَ أنْ يَخرجَ؛ بكى. ويقول: أخشى أنْ لا أعودَ إليه. [صفة الصفوة].

نتنافس على ماذا؟

✓ قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس الخيرُ أنْ يَكثُر مالك وولدك، ولكن الخيرَ أنْ يَكثُر عِلمك، ويَعظُم حِلمُكَ، وأنْ تباهي النَّاسَ بعبادة الله ربِّك؛ فإنْ أَحسنتَ حَمِدت الله، وإنْ أسأتَ استغفرتَ الله) [الحلية].

✓ وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (من نافَسَكَ في دِينِك فنافسهُ، ومن نافَسَكَ في دُنياك؛ فألقها في نَحْره) [الإنسان بين علو الهمة وهبوطها].

✓ وهذه الأعطية -الإيمانُ والطَّاعة- غايةُ المحَبَّة، ولا يَرزقها الله إلا من أحبَّه واصطفاه؛ كما جاء في الأثر:

(إنّ الله تعالى يُعطي الدُّنيا من يُحبّ ومن لا يُحبّ، ولا يُعطي الإيمانَ إلا من أحبَّ) [عدّة الصابرين].

الشيخ ابنُ باز

☜ ذكر أحدُ المشايخ: أنه كان في الطائف، واتَّصل على الشيخ ابن باز رحمه الله في الرِّياض، وبينما هو يَتحدَّث معه في الهاتف؛ أَذَّنَ المُؤَذن، فقال الشيخ: دعنا نُردِّد مع المُؤَذِّن.

قال: فانتظرتُ على الهاتف، حتّى انتهى المُؤَذِّن من الأذان، والشيخ يُرَدّد معه. [أطايب الجنى].

كُن للهِ يكن لكَ

● قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: (من يَتق الله يَكن معه، ومن يكن الله معهُ؛ فمعهُ الفِئةُ التي لا تُغْلَب، والحارسُ الذي لا يَنام، والهادي الذي لا يَضلُّ) [الحلية].

● وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنْ أَحببتَ أنْ يدومَ اللهُ لك على ما تُحبُّ؛ فدُم له على ما يُحبُّ) [البداية والنهاية].

● وجاء في كتاب «طريق الهجرتين» لابن القيِّم ما نصّه:

(إنَّ الله سبحانه قضى أنْ لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يُريد كان اللهُ له فوقَ ما يُريد، ومن أَقبل عليه، تلقَّاهُ من بَعيد).

لله درّها من نَفْس

قال ابنُ الجوزيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لله درُّ نَفْس تَطَهَّرت من أَجناس هواها، وتجلببت جلبابَ الصَّبر عند دُنْياها، وشغلها ما رأى قلبها عمّا رأت عَينَاها، وإنْ مالت إلى الدُّنيا نَهاها نُهاها، وإنْ مالت إلى الهوى شَفاها شِفاها.

سهرتْ تطلبُ رضى المولى فرضيَ عنها وأَرضاها، وقامتْ سُوق المجاهدة على سُوق هُداها، فباعت حِرصها بالقناعة؛ فظفرت بغِناها، وفَوّقت سِهام العزائم إلى أهداف المحارم تبتغي عُلاها، ورمت نَجائب الأسحَار فسَاقها حادي الاستغفار إذ عَنَاها، وقَطَعَت بَيداءَ الجدِّ بآلة المستعِدِّ؛ فبلغت مُنَاها!) [المواعظ].

الراحة أريد

✓ قد يظنُّ الكثير أنَّ في هذه المجاهدة: إرهاقٌ للنَفس، وإتلافٌ للجسد؛ وهذا غير صحيح، **فقد كان علْقمة بن قيس يخطرُ على باله هذا التفكير، ويسألُ الأسودَ بن يزيد: لم تُعذِّبُ هذا الجسد؟!**

فيجيبه الأسود: راحةُ هذا الجسد أُريد. [الحلية].

✓ **قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كلّما كانت النُّفوسُ أَشرف والهِمّةُ أعلا؛ كان تعبُ البَدن أَوفر، وحظّهُ من الرَّاحة أقل) [مفتاح دار السعادة].

✓ **وقال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ما وصلَ القومُ إلى المنزل إلا بَعد طول السُّرى [أي: المسير] ما نالوا الرَّاحةَ إلا بَعدَ مَرارة التَّعب) [المدهش].

النّعيمُ لا يُدركُ بالنّعيم

قال ابنُ القيِّم في كتابه «مَدارِج السَّالكين»:

(أَجمعَ عُقلاءُ كلِّ أُمّة على أنَّ النّعيمَ لا يُدركُ بالنّعيم، وأنَّ مَن رَافَقَ الرَّاحة؛ فارقَ الرَّاحة، وحصلَ على المشقة وقتَ الرَّاحةَ في دار الرَّاحة، فبقدر التّعب تكون الرَّاحة).

اسمع من ابن الجوزي

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في نصيحةٍ صادقةٍ من «مواعظه»:

(إخواني: الموتُ في طريق الطَّلب، خيرٌ من العَطب في طريق البِطالة. ما هذا؟!

أدِمِ السَّهر والصَّوم، وخلِّ لأربابه طول النوم، وشمِّر في لحاق القوم، فإذا وصلت إلى دوائك؛ أنخت بجَنَاب.. يا هذا.. عليك بإدمان الذِّكر؛ لعلَّ ذِكْرَكَ القليل ينمى ذِكْرَهُ الجليل ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ «**أنا جليسُ من ذَكَرني**»).

إضاعةُ الوقت

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إضاعةُ الوقت أشدُّ من الموت؛ لأنّ إضاعة الوقت تَقطَعُكَ عن الله والدَّار الآخرة، والموتُ يَقطَعكَ عن الدُّنيا وأهلِها) [الفوائد].

وقال في «مدارج السالكين»:

(كلُّ نَفَسٍ يَخرجُ في غير ما يُقرِّبُ إلى اللهِ؛ فهو حَسرةٌ على العَبد).

✍ **وقال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللهُ:**

(ابنَ آدم إنّما أنت أيامٌ، كلّما ذهبَ يومٌ؛ ذهبَ بعضُكَ) [الحلية].

إنا لنفرحُ بالأيّام نقطعُها وكلّ يوم مَضى يُدني من الأجل

✍ **ومن جميل الكلمات:**

(وقتُكَ ذَهَب، إنْ حفظتَهُ وإلا.. ذَهَب).

✍ **وكتب صاحبُ همّة عالية، وغاية**

غالية: (الوقتُ الذي تَلهو فيه؛ غَيرُكَ يَبني مَجدَهُ فيه).

✍ **ولله دَرُّ الشاعر يوم قال:**

إذَا هَجَعَ النُّوَامُ أَسْبَلْتُ عَبْرَتِي وَأَنْشَدْتُ بَيْتًا وَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الشِّعْرِ

أليسَ مِن الخُسران أنَّ ليالياً تَمُرُّ بِلا علم وتُحسَبُ مِن عُمري

حياةٌ أوقفت للّه

✔ **قال حمّادُ بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ما أتينا سُليمانَ التَّيميّ في ساعة يُطاع الله ﷻ فيها؛ إلا وجدنَاهُ مُطيعاً، فإنْ كان في ساعة صلاة، وجدناهُ مُصلّياً، فإنْ لم تكن ساعة صلاة، وجدناهُ مُتوضئاً، أو عَائداً مَريضاً، أو مُشيّعاً لجنازة، أو قاعداً يُسبِّحُ في المسجد..

فكنّا لا نَرى أنّهُ يُحسنُ أنْ يعصي اللهَ ﷻ) [صفة الصفوة].

✔ **قال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(لقد صحِبتُ أحمد بن حنبل عِشرين سَنة: صيفاً وشتاءً، وحَرّاً وبَرداً، وليلاً ونهاراً؛ فما لقيته في يوم إلا وهو زائدٌ عليه بالأمس) [طبقات الحنابلة].

✔ **قال أنس بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ:** (رأيتُ صفوان بنَ سُليم لو قيلَ له: غداً القيامة، ما كان عنده مَزِيد على ما هو فيه مِن العبادة) [صفة الصفوة].

✔ **قال ابن أبي روّاد رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(رأيتُ طاوساً وأصحابَه إذا صلّوا العصرَ؛ استقبلوا القِبلة، ولم يُكَلِّموا أحداً، وابتَهلوا في الدُّعاء) [صفة الصفوة].

✔ **قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كان حسّان بن عطيّة يَتنَحّى إذا صلّى العصر في ناحية المسجد، فيذكرُ الله حتّى تغيبَ الشمسُ) [الحلية].

فيا لها من أرواح سمت عالياً، وحلّقت في سَماء المُثل، أوقفت حياتها لله، واسكنَتْ حُبَّهُ شِغاف القلوب، فهي لله وبالله ومع الله.

✔ **وقال عمرو بن قيس الملائي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إذا بلغكَ شيءٌ مِنَ الخير، فاعمل به -ولو مَرّة-؛ تكن مِن أهله) [صفة الصفوة].

الطَّاعة

✓ **وصلَ الأمرُ بالقوم من حبِّهم لطاعة الله عزَّ وجلَّ أمراً يُتعجبُ منه، حتى قال قائلهم:** (وددتُ أنَّ الخلقَ كلّهمَ أطاعوا اللهَ، وأنَّ لحمي قُرِّضَ بالمقاريض).

✓ **قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ما أَكْرَمَتْ العِبادُ أَنفُسَها بمثل طاعةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا أَهانت أَنْفُسَها بمثل معصية الله، وكَفى بالمؤمن نُصرة مِنَ الله أنْ يَرى عَدوَّه يعمل بمعصية الله) [الحلية].

✓ **وقيل:** (والله لن تَغلِبَ من عَصى الله فيك بأعظمَ من أنْ تُطيع اللهَ فيه).

✓ **قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:** (العِزُّ كلُّ العِزِّ في طاعة الله) [الداء والدواء].

✓ **وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إنَّ الأبرارَ تَغلي قُلوبهم بأعمال البِرِّ، وإنَّ الفُجَّارَ تَغلي قلوبهم بأعمال الفُجور) [الحلية].

✓ **ويرشدُنا محمّد محمَّد المختار الشنقيطي إلى فضل الطَّاعة وما لها من عظيم قدْر؛ فيقول حفظه الله:**

(إنّ من أجَلِّ نِعم الله عَزَّ وجَلَّ وأعلاها، وأعظم مِنن الله تبارك وتعالى وأسناها: نعمةُ الإيمان، والتَّوفيق للطَّاعة.

الطَّاعة.. ما الطَّاعة! وما أدراك ما الطَّاعة؟!

زادُ المهاجر إلى ربِّه، وأُنسُهُ في لحدِه وقبرِه، وحُجَّتُه في حشرِه ونشره، وشفيعهُ إذا اصطكت القدمُ بين يدي ربِّه) [النجاة من المعاصي].

✓ **وقال بعض السَّلف:** (التَّقيُّ وقتُ الرَّاحة له طاعة، ووقت الطَّاعة له راحة).

كرامة

◈ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ولا يَزالُ العبدُ يُعاني الطَّاعة ويأَلفها ويُحبّها ويُؤثِرها؛ حتّى يُرسلَ اللهُ ﷻ برحمته عليه الملائكةَ تَؤزّهُ إليها أَزّاً، وتحرِّضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولا يَزال يأَلف المعاصي ويحبّها ويؤثِرها؛ حتى يُرسلَ اللهُ عليه الشّياطين فتؤزّهُ إليها أَزّاً) [الداء والدواء].

من ثمرات الطاعة

✍ قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الفوائد»:

(إذا أَصبحَ العبدُ وأَمسى وليس همّهُ إلا الله وحْدَه؛ تَحمَّلَ اللهُ سبحانه حوائجه كلّها، وحمَلَ عنه كلَّ ما أَهمّه، وفرَّغَ قلبَهُ لمحبَّته، ولسانَه لذِكْرِه، وجوارحَه لطاعته.

وإنْ أَصبحَ وأَمسى والدُّنيا هَمَّه؛ حَمَّلَهُ اللهُ هُمومَها وغُمومَها وأَنكادَها، ووكَلَهُ إلى نَفْسِهِ، فشَغلَ قلبَه عن محبَّتِهِ بمحبَّةِ الخَلق، ولسانَهُ عن ذِكْرِهِ بذكْرهم، وجوارَحَه عن طاعته بخدمتِهم وأَشغالهم).

✍ وقال بعضُهم:

(من غضَّ بصرَهُ عن المحارم، وأَمسكَ نَفْسَهُ عن الشَّهوات، وعمَّرَ باطنَهُ بدوام المراقبة، وظاهرَهُ باتِّباع السُّنَّة، وعوَّدَ نَفْسَهُ أكلَ الحلال؛ لم تُخْطِ له فراسة) [إيقاظ أولي الهِمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية].

فعليكَ تقوى الله فالزمها تفُز ... إنَّ التقيَّ هو البَهيُّ الأهيبُ
واعمل بطاعته تنلْ مِنهُ الرِّضا ... إنَّ المطيعَ لـه لديـهِ مُقـرَّبُ

التجارة الرابحة

قال حذيفة بنُ اليَمان رضي الله عنه :

(من أراد أُنساً بلا جماعة، وعِزّاً بلا عَشيرة؛ فليتّخذ طاعة الله بضاعة) [الزهد للبيهقي]

قال لقمان الحكيم لابنه:

(يا بُنيّ! اتخذ طاعةَ الله تجارة؛ تأتك الأرباحُ من غير بِضاعة) [الزهد لأحمد].

وقال الحسن البصري رحمه الله:

(يا ابن آدم! بع دُنياك بآخرتك؛ تربَحهُما جميعاً، ولا تَبيعنَّ آخرتَك بدُنياك؛ فتخسرهما جميعاً) [الحلية].

الحياة الطيبة

السّعادةُ غايةُ الجميع ومَقصَدُ النّاس بلا استثناء، والحياةُ الطيبة والعيشةُ الهانئة مُنتهى أمل العالمين، فلا أحدٌ يحبُّ الشّقاء ولا البؤس؛ وما شقيَ من شقيَ، ولا ضحّى مَن ضحّى إلا لينالَ السَّعادة، أو يُذيقها لمن يُحبّ، بَيدَ أنَّ النَّاسَ يَتخبَّطونَ في العثور عليها، ويُخطِئون طريقَها؛ مع أنها واضحةٌ جليّةٌ!

⊙ **قال ابنُ الجوزيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (من صفا مع الله صافاه، ومن آوى إلى الله أواه، ومن فوَّضَ أمره إلى الله كفاه، ومَن باعَ نَفْسَهُ مِنَ الله؛ اشتراه، وجعل ثمنه جَنّة ورضاه، وعْدٌ صادق، وعهدٌ سابق ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾) [التّذكرة في الوعظ].

⊙ **وقال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أطيبُ ما في الدُّنيا: معرفتُه سبحانه ومحبَّتُه، وأَلَذُّ ما في الجنَّة: رؤيتُه ومشاهدته، فمحبَّتُهُ ومعرفتُهُ قُرَّةُ العيون، ولذَّةُ الأرواح، وبَهجةُ القلوب، ونَعيمُ الدُّنيا وسُرورها؛ بل لذّات الدُّنيا القاطعة عن ذلك تنقلبُ آلاماً وعَذاباً، ويَبقى صاحبُها في المعيشة الضَّنك، فليس الحياة الطّيبة إلا بالله.

وكان بعض المحبِّين تمرُّ به أوقات **فيقول**: إنْ كان أَهلُ الجنَّة في نَعيم مثل هذا؛ إنَّهم لفي عَيشٍ طيِّب. **وكان غيره يقول**: لو يَعلم الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف) [الدّاء والدّواء].

طريق السعادة

⊙ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن قرَّت عينُه بالله؛ قرَّت به كلّ عين، ومَن لم تَقرَّ عينُه بالله؛ تقطَّعت نفْسُهُ على الدُّنيا حسرات.

والله تعالى إنما جعل الحياة الطَّيبة لمن آمن بالله وعمل صالحاً؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾)[الداء والدواء].

صفات العبد الصادق

ليس كلُّ مَن أدَّعَى العبودية صادقاً، ولا مَن زعم محبَّة الحقِّ مُحقّاً، فالعبدُ الصادق له صفات وأوصاف، فهدفه معروف ومُبتغاهُ واضحَ.

⊙ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (صاحبُ التَّعبُّد المطْلق ليس له غرضٌ في تَعَبد بعينِهِ يُؤثَرُ على غيره؛ بل غَرضهُ تَتبّع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدارُ تعبُّده عليها، فهو لا يَزالُ مُتنقّلاً في منازل العبودية، كلَّما رُفعت له منزلة، عمل على سيره إليها واشتغل بها، حتَّى تلوحَ له منزلة أُخرى، فهذا دأبه في السّير، حتّى ينتهي سيره.

فإنْ رأيتَ العلماءَ.. رأيتَهُ معهم، وإنْ رأيتَ العُبَّادَ.. رأيتَهُ معهم، وإنْ رأيتَ المجاهدين.. رأيتَهُ معهم، وإنْ رأيتَ الذَّاكرين.. رأيتَهُ معهم، وإنْ رأيتَ المتصدِّقينَ المحسنينَ.. رأيتَهُ معهم، وإنْ رأيتَ أَربابَ الجمعية وعُكوف القلب على الله.. رأيتَهُ معهم.

فهذا هو العبدُ المطْلَق الذي لم تَملِكه الرُّسوم، ولم تُقيِّده القُيود، ولم يكن عمله على مُرادِ نَفْسِهِ وما فيه لذّاتها وراحتها من العبادات، بل هو على

مُراد ربِّه؛ ولو كانت راحةُ نَفْسِهِ ولذّتها في سواه.

فهذا هو المتحقِّقُ بإيِّاك نعبد وإيِّاك نستعين حقًّا، القائم بهما صدقاً.

مَلْبَسُهُ ما تهيّأ، ومأكَلُه ما تَيسَّر، واشتغالُه بما أُمرَ به في كلِّ وقت بوقته، ومجلسهُ حيث انتهى ووجدَه خالياً، لا تملكه إشارةٌ، ولا يتعبّده قيدٌ، ولا يستولي عليه رسمٌ، حُرٌّ مجرّدٌ.

دائرٌ مع الأمر حيث دارَ، يَدين بدين الأمر أنَّى توجَّهت ركائبُه، ويدور معه حيث استقلت مَضاربُه، يأنسُ به كلُّ مُحِقٍّ، ويستوحش منه كلّ مُبْطل، كالغيث؛ حيث وقعَ نفعَ، وكالنّخلة؛ لا يسقط ورقها، وكلّها منفعةٌ، حتى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا أُنتهِكت محارم الله.

فهو لله وبالله ومع الله، قد صحبَ اللهَ بلا خَلْق، وصحب النَّاسَ بلا نَفْس؛ بل إذا كان مع الله عزلَ الخلائق من البَين وتخلّى عنهم، وإذا كان مع خَلْقِهِ عَزَلَ نَفْسَه من الوسط وتخلّى عنها.

فواهاً له ما أَغربَه بين النَّاس، وما أشدَّ وحشتَه منهم، وما أَعظمَ أُنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه!! والله المستعان وعليه التكلان!).

[بدائع التفسير].

⊙ **وقالَ الحسنُ البَصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(ما ضَرَبْتُ بِبَصَرِي، وَلا نَطَقْتُ بِلِسَانِي، ولا بطَشْتُ بيدي، ولا نَهَضتُ على قَدَميَّ، حتّى أَنظُرَ على طاعة أو على معصية! فإنْ كانت طاعتُهُ تَقَدَّمتُ، وإن كانت معصيَةً تأَخَّرتُ) [جامع العلوم والحكم].

مناجاة الله والأنس به

قال مسلم بن يَسار رَحِمَهُ اللَّهُ:
(ما تَلذّذَ المتلذِّذون بمثل الخَلوة بمُناجاة الله عَزَّ وجَلَّ) [حلية الأولياء].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال بعضُ الشيوخ إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه، فيفتح لي مِن لذيذ مَعرفته وحَلاوةِ مُناجاتِه ما لا أُحبُّ معهُ أنْ يُعَجِّل قضاء حاجتي؛ خشيةَ أنْ تنصَرفَ نَفْسي عن ذلك؛ لأنَّ النَّفْسَ لا تُريدُ إلا حظَّها، فإذا قضى انصرفت) [الفتاوى].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا غَربت الشَّمسُ فرحتُ بالظلام؛ لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنتُ؛ لدخول النَّاس عليَّ) [الإحياء].

وكرّر هذا المعنى بقوله: (طُوبى لمن استوحش مِن النَّاس، وأنِسَ بربِّه، وبكى على خطيئته) [طبقات الصوفيّة].

ومما قاله ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إذا استغنى النَّاسُ بالدُّنيا، فاستغن أنت بالله، وإذا فرِحوا بالدُّنيا، فافرح أنت بالله، وإذا أنِسُوا بأحبابهم، فاجعل أُنسك بالله، وإذا تعزَّفوا بمُلوكِهم وكُبرائهم، وتَقرَّبوا إليهم لينالوا بهم العِزَّةَ والرِّفعة، فتعرَّف أنت إلى الله، وتَودد إليه؛ تَنلْ بذلك غايةَ العِزَّة والرِّفعة) [الفوائد].

قال أبو الحسن المُزَيِّن الصَّغِيْر رَحِمَهُ اللَّهُ:
(من استغنى بالله؛ أحوجَ اللهُ الخلقَ إليه) [صفة الصفوة].

وسأَلَ رجلٌ عالماً: إنْ كانَ ربُّكَ يرمينا بسهام القَدَر فتُصيبنا، فكيفَ لي بالنّجاة؟!

فأجابه العالم: كُن بِجوار الرّامي تنجو.

وقال السِّباعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (خلوةُ ساعة بينك وبين ربِّك، قد تَفتَحُ لك مِن آفاق المعرفة، ما لا تفتحه العبادة في أيّام مَعدُودات) [هكذا علَّمتني الحياة].

خواطر العارفين وأشجان المُحبّين

قال ابنُ القيِّم في «فوائده»: (المعرفةُ بساطٌ لا يَطأُ عليه إلا مُقرَّب، والمحبّةُ نشيدٌ لا يَطربُ عليه إلا مُحبّ مُغرَم، الحبُّ في الله غدير في صحراء ليست عليه جادة [أي: علامة] واضحة؛ لذلك قَلَّ واردهُ.

المحبُّ يَهربُ إلى العُزلة والخلوة بمحبوبه والأُنس بذِكرهِ كهَرب الحوت إلى الماء، والطِّفل إلى أُمِّهِ).

قيل: (قد تجفو الدُّنيا في وجهكَ؛ كي تأنسَ بجوار الله).

نسائم الشَّوق

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الشَّوقُ إلى الله ولقائهِ نسيمٌ يَهبّ على القلب يُرَوِّح عنه وهجَ الدُّنيا، من وطَّنَ قلبَه عند ربِّه سَكَنَ واستراحَ، من أَرسلهُ في النَّاس اضطربَ واشتدَّ به القلق) [الفوائد].

وقد بلَغ الشَّوقُ عند عبد الله بن أَبي زكريا رَحِمَهُ اللَّهُ **مَبلَغَهُ حيثُ قال:**

(لو خُيّرتُ بين أنْ أُعمّر مئة سَنَة في طاعة الله، أو أَنْ أُقبض في يومي هذا أَو في ساعتي هذه؛ لاخترتُ أنْ أُقبض شوقاً إلى الله ﷻ وإلى رسولهِ وإلى الصَّالحين من عبادهِ) [صفة الصفوة].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (لو عَلِمَ العابدون أنَّهم لا يَرون ربَّهم ﷻ في الآخرة؛ لذابت أَنفُسُهم في الدُّنيا) [السُّنة لعبد الله بن أحمد].

قال أبو عنبسة الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كان مَن قبلكم لقاءُ الله أحبُّ إليه من الشّهد).

الطريق إلى الله

قال أحمد بن أبي الحواري:

(سَأَلَ رجلٌ أبا سليمانَ الدَّارانيِّ: ما أَقربُ ما يُتقرَّب به إلى الله ﷻ؟ فبكى، **ثم قال:**

مثلي يُسألُ عن هذا؟ أقرب ما يُتقرَّب به إليه: أنْ يَطَّلِع على قلبك وأنت لا تريدُ من الدُّنيا والآخرة غيرَهُ) [الحلية].

وقال سهل بن عبد الله التَّستريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس بين العبد وبين ربِّه طريقٌ أقربَ إليه من الافتقار) [فتاوى ابن تيمية].

قال ذو النُّونِ المصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من عَلَامةِ المحبِّ لله: تَركُهُ كلَّ ما يَشغَلُهُ عن الله؛ حتّى يكونَ الشَّغلُ بِالله وَحدَه) [الزهد والرقائق].

أنت ملك ولكن لا تَشعُر

◆**قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** (ما دمتَ في صلاةٍ؛ فأنتَ تَقرعُ بابَ الملك، ومن يَقْرعُ بابَ المَلِكِ؛ يفتح لهُ) [صفة الصفوة].

◆**وقال أبو بكر المزنيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (من مِثلُك يا ابنَ آدم؟! خُلِّي بينكَ وبين الماء والمِحراب، متى شِئتَ تَطهَّرتَ، ودخلتَ على ربِّكَ ﷻ، ليس بينكَ وبينَهُ ترجُمان ولا حاجب) [البداية والنهاية].

أسباب حلاوة العبادة

✓ **قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:** (قال لي عبدُ الله الرَّازِيُّ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِد حَلاوةَ العِبادةِ، وتَبلُغَ ذُروةَ سَنَامِها؛ فاجعَل بَينكَ وبيَن شَهوَات الدُّنيا حائِطًا من حَديدٍ) [المجالسة وجواهر العلم].

✓ **وقال أحمد بن حرب العابد:**

(عبدتُ الله خمسين سَنة، فما وجدتُ حلاوة العبادة حتّى تركتُ ثلاثةَ أشياء: تركتُ رضى النَّاس؛ حتّى قَدرتُ أنْ أتكلّمَ بالحقِّ، وتركتُ صُحبة الفاسقين؛ حتّى وجدتُ صحبةَ الصَّالحين، وتركتُ حلاوةَ الدُّنيا؛ حتّى وجدتُ حلاوة الآخرة) [السير].

✓ **قال عبد الله بن وهب رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كلُّ مَلذوذ إنّما له لذّة واحدة، إلاّ العبادة؛ فإنَّ لها ثلاث لذّات: إذا كُنتَ فيها، وإذا تذَكّرتَها، وإذا أُعطيتَ ثوابها) [موسوعة خطب المنبر].

العيش مع الله

✍ **قال الشيخ صالح المغامسي:**

(الجنَّةُ لم يَجدها الفِتيةُ من أهل الكهف في قصور آبائهم، ولا في دُور قرابتهم؛ وجدوها في كهفٍ مُظلِم مع كلب؛ لأنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فأورثهم اللهُ جلَّ وعلا الرِّضا عنه في قلوبهم، فلمّا دخلوا الكهفَ وهم راضون عن الله؛ اتّسع الكهفُ في أَعينهم، وارتاحت أجسادهم واطمأن حالهم، وأورثهم الله ذِكراً في كتابه إلى قيام الساعة).

العجَبُ

✓ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس العَجَبُ مِن قولِهِ: ﴿يُحِبُّونَهُ﴾! إنما العَجَبُ مِن قولِهِ: ﴿يُحِبّهم﴾! ليس العَجَبُ من فقير مسكين يُحِبُّ مُحسناً إليه! إنما العجبُ من مُحسِن يُحِبُّ فقيراً مِسكيناً!!) [الفوائد].

✓ **وقال -أيضاً- في نَفْس الكتاب:**

(ليس العَجَبُ مِن مملُوك يَتذلّلُ لله، ولا يَملُّ خدمَته مع حاجته وفقره، إنَّما العجبُ من مالِك يَتحَبَّبُ إلى مملوكِه بصُنوف إنعامِه، ويتودّد إليه بأنواع إحسانه مع غِناهُ عنه!).

✓ **وقال أبو سليمان الدَّارانيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس العَجَبُ ممن لم يجد لذَّة الطاعة، إنّما العَجَبُ ممن وجدَ لذَّتها ثم تَركها؛ كيف صَبَرَ عنها؟!) [الحلية].

ما كُلُّ قلب يَصلُح للقُرب

قلوبُ النّاس صنوفٌ وصنوفٌ، والأولياءُ الرَّبانيونَ اشتغلوا بمرضاة الله وطاعته، وهجروا ما يُغضبهُ ويُسخطه؛ لينالوا المنازلَ العُلى، وتَحِلُّ بأرضهم الرَّحمةُ والرِّضا.

قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا مَطروداً عن الباب، يا محروماً من لقاءِ الأحباب! إذا أَردتَ أنْ تَعرِفَ قدْرك عند المِلك؛ **فانظر فيما يَستخدمك، وبأيِّ الأعمال يُشغلك.**

كم عند بابِ المِلك من واقفٍ، لكن لا يَدخل إلا من عُني به. ما كلُّ قلبٍ يَصلحُ للقُرْب، ولا كلُّ صدْرٍ يَحملُ الحبَّ، ما كلُّ نسيم يُشبهُ نسيم السَّحر) [فتاوى محمد المنجد].

إذا أَحبّك الله وفقك للطاعة

دخلَ السَّرِيُّ السَّقَطِيّ السّوق فقال: رأيتُ جاريةً يُنادى عليها بالبراءة من العُيوب، قال: فاشتريتُها بعشرة دنانير، فلما انصرفتُ بها إلى المنزل، عَرَضتُ عليها الطعام، فقالت: والله يا سيدي ما رأيتُ أحداً في دارنا أكل نهاراً قط [أي: أنها صائمة]!

قال: فخرجتُ، فلما كان العشاء، أتيتُها بطعام فأكلَتْ منه قليلاً، ثم قالت: يا مولاي! بقيت لك خِدمة؟ قلتُ: لا، قالت: دعني لخدمة مولاي الأكبر [أي: لطاعة الله ومناجاته]، قلتُ: إي وكرامة.

فانصرَفَتْ إلى بيتٍ تُصلّي فيه، وصلّيتُ أنا العِشاء الآخر ورقدتُ، فلما مضى من الليل الثُّلث؛ ضَرَبَتْ البابَ، فقلتُ لها: ماذا تريدين؟

قالت: يا مولاي! أَما لك حظٌّ من الليل؟ قلتُ: لا.

فمضتْ، فلمّا مضى نصفُ الليل؛ ضربت عليَّ الباب، وقالت: يا مولاي! قامَ المتهجدون إلى وردِهم، قلتُ: يا جارية؛ أنا بالليل خشبة وبالنّهار جَلبة.

فلمّا بَقي من الليل الثُلث الأخير؛ ضربت عليَّ الباب ضرباً عنيفاً! وقالت:

أما دعاك الشَّوقُ إلى مناجاة الملك؟! قم لنفسك، وخذ مكاناً، فقد سَبَقكَ الخُدَّامُ.

قال: فهاجَ مني كلامها خاطراً، وقمتُ، فأسبغتُ الوضوء، وركعتُ ركعات، ثم تحسَّستُ إليها فوجدُتها ساجدةً وهي تقول:

بِحُبِّك لي؛ إلا غَفرتَ لي!

فقلتُ: يا جارية! ومن أين علمتي أنّه يُحبّك؟!

قالتْ: **لولا محبَّته ما أنامكَ وأقامني!**

فقلتُ: اذهبي.. فأنت حُرَّةٌ لوجه الله العظيم.

فدعت لي، ثم خرجت، وهي تقول:

هذا العتقُ الأصغر؛ بقي العتقُ الأكبر. [صفقات رابحة/ بتصرف يسير].

لا تَعْذِلِ المشتَاقَ في أشواقِهِ حتّى يكون حَشَاكَ في أحشَائِهِ

إنَّ القتيلَ مُضَرَّجاً بدمُوعِـهِ مِثْلُ القتيـلِ مُضَرّجـاً بدمائِـهِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا أرادَ اللهُ بعبدهِ خيراً فتحَ له من أبواب التّوبةِ والنّدم والانكسار والذُّل والافتقار، والاستعانة به وصدق اللجأ إليه، ودوام التّضرّع والدّعاء والتّقرّب إليه بما أمكن من الحسنات) [الوابل الصيّب].

فن الشكر

ذَكَرَ ابنُ رجب الحنبليّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «لطائف المعارف» عن بعض السَّلف أنّه كان إذا وُفِّقَ لقيام ليلة من الليالي؛ أصبحَ في نهارهِ صائماً، ويجعلُ صيامه شكراً للتوفيق للقيام.

أولياء الله

قبل الكلام

للعلماء حقٌّ وحُرمة؛ وإنْ اختلفنا معهم، وللأولياء مكانة ومنزلة؛ وإنْ أخطأوا. ولا يَليقُ بنا أنْ نَنهلَ من علومهم ونقتبسَ من سيرهم، ثم يكون الجفاء وقلَّة الأدب والاحترام!!

قال مصطفى السِّباعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أحباءُ الله، صدقوه العهد فصدقهم الوعد، ومحّضُوهُ الحُبَّ فمنحهم القُرب) [هكذا علّمتني الحياة].

ونقفُ مع إمام الحنابلة - في زمانه- رِزقُ الله التَّميْميِّ وهو يرشدنا لمكارم الأخلاق وأَخلاق الكرام، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(يَقبُح بكُم أنْ تَستفِيدُوا مِنَّا، ثمّ تذكرونَا، فَلاَ تَترحَّمُوا عَلَيْنَا).

[سير أعلام النبلاء].

لذا.. أكثرنا من التّرَحم عليهم؛ وفاءً لهم، ولعلَّ الله أنْ يَرحمنا بذلك، ويُقيّض لنا من يَترَّحمُ علينا.

صفات الأولياء

أَجمَلَ لنا أبو العباس بن عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ أوصافهم فقال:

(علاماتٌ الولي أربعة: صيانةُ سرِّه فيما بينه وبين الله، وحفظُ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله، واحتمالُ الأذى فيما بينه وبين خَلْق الله، ومداراتهُ للخَلْق على تفاوت عقولهم) [صفة الصفوة].

☑ في كتابه «لا تحزن» عرَّجَ الشيخُ عائضُ القرنيّ على الأصفياء والأولياء، وأطنبَ في ذِكْرِ صفاتهم؛ ليُذَكِّرنا بقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فنتأسى بهم، ونقتفي آثارَهم.

فقال وفّقه الله: (من صفاتِ الأولياء: انتظارُ الأذان بالأشواق، والتهافتُ على تكبيرة الإحرام، والوَلهُ بالصَّفِّ الأوّل، ومُداومة الجلوس في الروضةِ، وسَلامةُ الصّدرِ، وظهورُ مراسيم السُّنَّةِ، وكَثرةُ الذِّكر.

وأكلُ الحلال، وتركُ ما لا يَعني، والرِّضا بالكَفافِ، وتعلّمُ الوحي كتاباً وسُنّةً، وطلاقةُ المُحَيَّا، والتوجُّعُ لمصائب المسلمين، وتَركُ الخِلاف، والصّبرُ للشدائدِ، وبذلُ المعروف).

صفات المتقين

قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأهل التَّقوى علامات يُعرَفون بها: صدقُ الحديث، والوفاءُ بالعهد، وصِلةُ الرّحم، ورحمةُ الضّعفاء، وقلةُ الفخر والخُيلاء، وبذلُ المعروف، وقِلةُ المباهاة للنَّاس، وحُسنُ الخُلق، وسِعةُ الخَلق؛ مما يُقرِّبُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ) [الحلية].

جاء في رسالة «مفتاح طريق الأولياء» لأحمد بن إبراهيم الواسطي رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصُّهُ: (إن أردتَ أن تنالَ درجةَ أهل التَقوى والخشية؛ فعليكَ بالحياءِ مِن الله في الخَلَوات، واعلم أنَّه يَراكَ مِن فوقِ عرْشِهِ وفَوق سبعِ سماواته، وأنَّه يَرى ما تتحرَّكُ به جوارحك، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾).

لحومُ الأولياء

في زمن كَثُرَ فيه الطَّعنُ والقدحُ في العلماء والأولياء، وتمادى الأصاغرُ على الأكابر بغير علم ولا هدى ولا كتاب مُنير؛ في هذا الزَّمن ما أَحوجنا لنُدرك خطورةَ الأَمر وفداحتهُ.

✍ **قالَ بَعضُ البُلَغَاءِ:**

(إنَّ مِنْ الشَّرِيعَةِ أَنْ تُجِلَّ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ) [أدب الدنيا والدِّين].

✍ **قال أبو تُراب النخشبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إذا أَلِفَت القلوبُ الإعراضَ عن الله عَزَّ وجَلَّ؛ صَحِبَتها الوقيعةُ في الأولياء) [صفة الصفوة].

✍ **وجاء في كتاب «عيوب النفس»:** (الْقُلُوب إِذا بَعُدت عَن الله؛ مَقتت القائمين بِحَقِّ الله).

✍ **فعلامةُ قُربك من الله، أن تُمسِكَ لسانَكَ عن خَلقِه، وقد قيلَ:** (علامةُ الإفلاس؛ كثرةُ الحديثِ عن الناس) **فاحذر لسانَكَ لا تُؤتَيَنَّ مِن قِبلِهِ.**

✍ **قال أَبو عليٍّ الثقفي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(من صَحِبَ الأكابرَ وما حفظَ حُرمَتَهم؛ حَرَّم اللهُ تعالى عليه فائدةَ صحبتهم، وما يَنتفِعُ من بركات نظَرِهم وأنوارِهم) [نفحاتُ الأنس].

✍ **وصدَقَ الشَّاعرُ بقولهِ:**

كم سيّدٍ مُتفضِّلٍ قد سَبَّهُ ... من لا يُساوي غَرزَةَ في نعلهِ

ولحوم العلماء

قالَ عليُّ بنُ أَبِي طَالِب رضي الله عنه:
(لا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ) [أدب الدنيا والدِّين].

قال ابن عساكر رحمه الله: (لحومُ العلماءِ مسمومة، وعادةُ الله في هَتكِ أستارِ مُنتقصيهم معلومة) [تبيين كذب المفتري].

وقال شيخُ المحَدِّثين يحيى بنُ معين رحمه الله عند ذِكرِهِ بعض رواة الحديث الذين تُكلِّمَ فيهم مِن قِبل علماء الجرْح والتَّعْديل:
(إنّا لنَطعنُ على أقوامٍ لعلَّهُم حَطُّوا رِحَالَهم في الجنَّة منذُ أكثر من مئتي سَنَة).

قال محمّد بن مَهرَويه: فدخلتُ على عبد الرَّحمن بن أَبي حاتم وهو يَقرأُ على النَّاس كِتابِ «الجرْح والتَّعْديل» فحدَّثتُهُ بهذه الحكاية؛ فبَكى وارتَعَدَتْ يَداهُ، حتى سَقطَ الكِتابُ من يده، وجعل يبكي ويَستَعيدُني الحكاية، ولم يقرأ في ذلك المجلس شيئاً) [الجامع لأخلاق الرَّاوي].

زادُ الطريق

سُئل أبو الأعلى المودودي عن مقوّمات الدَّاعية فقيل له:
إنَّ الطَّريق أَمامكَ صَعبٌ، وإنَّ أَمَلَكَ في الإصلاح ضعيفٌ، فماذا أَعددتَ للمشاقّ والمصاعب التي ستواجهها في طريقك؟

فأجابَ رحمه الله قائلاً:
أَعددتُ للشِّدّةِ يَقيناً، وللمُعَوِّقاتِ دِيناً، وللظُّلم صَبراً، وللسُّجونِ والمعتقلاتِ قُرآناً وذِكْراً، وللمشانِق ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

الإخلاص

في السّماء

أوصانا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قائلاً:** (كونوا يَنابيعَ العلم، مَصابيحَ الهدى، أَحلاسَ البُيوت، سُرجَ الليل، جُددَ القلوب، خِلقانَ الثياب؛ تُعرَفونَ في السّماء، وتَخفَونَ على أهل الأرض) [صفة الصفوة].

أهم العلوم

قال عبد الله بن أبي جمرة رحمه الله:

(وددتُ لو أنّه كان من الفُقهاء من ليس له شُغلٌ؛ إلا أنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ مَقاصِدَهم في أعمالهم، ويَقعُد للتدريس في أعمال النّيات؛ ليس إلا، فإنّه ما أُتي كثيرٌ من النَّاس إلا من تضييع ذلك) [المورد العذب].

قال ابن عيينة رحمه الله: (لو لم يُنزل الله تعالى علينا إلا قولَه تعالى: ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ لكان قد أعذر) [محاضرات الأدباء].

نماذج وصور

قال الحسن البصري رحمه الله:

(إنْ كان الرَّجلُ جَمَعَ القرآنَ، وما يَشْعُرُ به جارهُ، وإنْ كان الرَّجلُ قد فقهَ الفقه الكثير، وما يَشْعُرُ به النَّاس، وإنْ كان الرَّجلُ ليُصلّي الصَّلاة الطويلة في بيته وعندَهُ الزُّوّار، وما يَشْعُرون به!

ولقد أدْركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض مِن عمل يَقدرون أنْ يَعمَلُوه في السِّرِّ؛ فيكون علانيّة أبداً) [الزهد لابن المبارك].

قال محمَّد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقد أَدركتُ رجالاً كان الرَّجل يكون رأسُه مع رأس امرأته على وسادةٍ واحدةٍ، قد بلَّ ما تحت خَدِّه من دُموعه لا تَشعرُ امرأتُه! ولقد أدركتُ رجالاً يَقومُ أَحدُهم في الصَّفِّ فتَسيلُ دُموعه على خدِّه، ولا يَشعرُ بِهِ الذي إلى جانبه!) [الحلية].

قال بديلُ العقيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أرادَ بوجهه الله تعالى؛ أقبلَ اللهُ عليه بوجهه، وأقبلَ بقُلوب العباد عليه، ومن عمل لغير الله؛ صَرَفَ اللهُ وجهه عنه، وصَرَفَ قلوبَ العباد عنه) [ذمُّ الجاه والمال].

قال عبدُ الله بن أحمد بنِ حنبل لأبيه: أوصني يا أبتي؟

فقال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا بُنيّ انوِ الخيرَ؛ فإنك لا تزال بخير ما نوَيتَ الخير) [الآداب الشرعية].

قال نافع بن جُبير رَحِمَهُ اللَّهُ: (من شَهِدَ جنازة ليَراهُ أهلُها؛ فلا يَشهَدْها) [سير أعلام النبلاء].

قال مَيْمُونٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ أَعْمَالَكُمْ قَلِيلَةٌ، فَأَخْلِصُوا هَذَا الْقَلِيلَ) [الحلية].

وكان مُوَرِّق العِجْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول:** (ما أُحِبُّ أن يَعرفني بطاعَتِه غَيرهُ) [التواضع لابن أبي الدنيا].

فهمٌ دقيق

قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ: (حُكي أنّ أبا حامد الغزاليِّ بَلَغَهُ أنّ من أَخلصَ لله أربعينَ يوماً تَفجَّرت الحِكمةُ من قلبِهِ على لسانِهِ، قال: فأخلصتُ أَربعينَ يوماً؛ فلم يَتفجَّر شيءٌ، فذكرتُ ذلك لبعض العارفينَ. **فقال لي: إنك أخلصتَ للحكمة، ولم تُخلص لله**) [درء التعارض].

التوفيق والإخلاص

❁ **قال حذيفة بنُ قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إنْ أطعتَ الله في السِّرِّ؛ أصلحَ قلبَكَ؛ شِئتَ أمْ أبَيْتَ!) [هبّي يا ريح الإيمان].

❁ **قال أبو حازم سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:** (عند تصحيح الضّمائر؛ تُغفر الكبائر، وإذا عَزمَ العبدُ على تَرك الآثام؛ أتتهُ الفُتوح) [صفة الصفوة].

❁ **وقال صالح المغامسي:**

(ما ارتفَعَ شيءٌ إلى السّمَاءِ أعظَم من الإخلاصِ، وما نزَلَ شَيءٌ إلى الأرضِ أعظم من التوْفِيقِ، وبِقَدْرِ الإخلاصِ؛ يَكُونُ التوفيْقُ).

❁ **وما أجملَ تلك القاعدة التي تقول:** (سرُّ الإصلاح؛ صلاحُ السِّرِّ) **واللبيبُ من الإشارة يَفهم.**

الإخلاص والرياء

❁ **قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

(لا تبدأ لأنْ تَشتَهر، ولا تَرفع شَخصكَ لتُذْكَر، وتَعَلّم واكتم، واصمُت تسلَم؛ تَسرُّ الأبرار وتغيظ الفُجّار) [تفسير ابن كثير].

❁ **ولذي النُّون المصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب قولٌ جميل:**

(لم أر شيئاً أَبْعثَ لِطَلَبِ الإخلاص، من الوحِدة؛ لأنه إذَا خلا، لم ير غيرَ الله تعالى، فإذا لم ير غيرَه؛ لم يُحرِّكْه إلا حكمُ الله.

ومن أحبَّ الخَلْوة، فقد تعلَّق بعمودِ الإخلاص، واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصِّدق) [طبقات الصوفيّة].

❁ **وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(وقد جَرت عادةُ الله التي لا تتبدَّل وسُنَّته التي لا تتحوَّل؛ أنْ يُلبِسَ المخلصَ من المهابةِ والنُّور والمحبَّة في قلوب الخلْق، وإقبال قلوبهم إليه، ما هو بحسبِ إخلاصهِ ونيَّته ومعاملته لربِّه، ويُلبِسَ المرائي ثوبي الزُّور من المقْتِ والمهانةِ والبُغض وما هو اللائق به.

فالمخلصُ له المهابةُ والمحَبّةُ، وللآخر المقتُ والبَغضاءُ) [إعلام الموقعين].

❁ **وقال ابنُ الجوزيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(من أَصلحَ سريرتَهُ؛ فاحَ عَبيرُ فضله، وعبِقت القُلوبُ بنَشر طِيبه) [صيد الخاطر].

❁ **قال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ:** (علامةُ المُخلص؛ بذلُ المجهود في الطَّاعة).

قال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إذا فسدت النيّة وقعت البَلية) [محاضرات الأدباء].

شؤم الرياء

✍ **جاء في كتاب «حلية الأولياء» أنَّ بِشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ قال:**

(لا أعلمُ رجلاً أحبَّ أنْ يُعرَفَ؛ إلا ذهبَ دينُه وافتَضحَ).

✍ **وقال في الكتاب ذاته:**

(لا يجدُ حلاوة الآخرة رجلٌ يُحبّ أنْ يَعرِفَهُ النّاس).

✍ **ومِن جميلِ ما قال الدّكتور عبد الله الرّحيلي:**

(إذا لم نُصحِّح النّيات والخُطوات؛ فاللهُ أعلمُ بالنِّهايات).

[كلمات في مناسبات].

هذا هو الله

بالله قل لي:... (كم مرَّة مرِضتَ فيها فشفاك، ونَزَلت بك نازلة فنجَّاك، وأَلَمَّ بك الجوعُ والعَطشُ فأطعمكَ وسقاكَ، وابتلاكَ بالمصائبِ ليَغفرَ لك الذَّنوب، وقصدكَ بالبلايا ليمحو الخطايا.

أنعمَ عليك بالإسلام وملايين البَشر في بحار الكفر غارقون، وأفاضَ عليك بنِعم السمع والبصر والفؤاد والمحرومون كثيرون.

تبارزه بالمعاصي ويُحبّكَ، وتعصيه ويغفر لك، وتَهتِك ستر الله عليك ويوالي أستارهُ عليك، تُسيءُ فيُحسن، وتُذنب فيُنعم، وتقطعهُ فيَصِلُك.

لا يَمنَعُه إساءة لسانك بالكذب أنْ يحرمَك نعمة الكلام، ولا إساءة عينك بالنظر إلى الحرام أنْ يَحرمك نعمة الإبصار، ولا إساءة الأذن بالاستماع إلى الحرَام والفُحش من القول إلى إصابتك بالصمم.

أنعَمَ عليك بنِعم تعرفها ونِعم لا تعرفها، نِعم تَشعرُ بها ولا تحسُّ بها، نِعم أورثكَ اعتيادُ رؤيتها نسيان شُكرِها؛ فلا تعرف ثمنها إلا بفقدِها).

[هيّي يا ريح الإيمان].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: (ليس الميتُ مَن خرجت روحُهُ مِن جنبَيه، وإنما الميتُ مَن لا يَفقه ماذا لربِّه مِن الحقوقِ عليه) [التذكرة في الوعظ].

قال مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ:

(من عرفَ اللهَ؛ رأى كلَّ ما في الحياة جميلاً) [هكذا علّمتني الحياة].

وقيل: (يا ربّ! لو أدركتِ القلوبُ عَظَمَتَكَ؛ لكانَ شَهيقُها القرآنُ، وزفيرُها الذِّكر، ونَبضُها الدعاء) [ففروا إلى الله].

هل أنتَ صادقٌ في حبّ الله ؟

ذكرَ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «جامع العلوم والحكم» جُملة من الآثار الدّالة على صدق المحبّة لله فمنها:

قال الحسن البَصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم أنّكَ لن تُحبَّ اللهَ حتّى تُحبَّ طاعتَهُ).

قال بِشر بن السري رَحِمَهُ اللهُ: (ليس من أعلام الحبِّ أنْ تُحبَّ ما يُبغضُهُ حبيبكَ).

قال أبو يعقوب النهرجوري رَحِمَهُ اللهُ: (كلّ مَن ادّعى محبّة الله عزَّ وجلَّ، ولم يُوافِق الله في أَمرِهِ؛ فدعواه باطل).

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ: (ليس بصادق من ادّعى محبّة الله، ولم يَحفظ حُدُودَهُ).

مَن المسكين؟

قيل لأبي حازم: إنك لمسكين!

فقال: كيف أكونُ مسكيناً!! ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى؟! [أدب الدُّنيا والدِّين].

الرجاء

رحمة الله

عندما قرأ قتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ الآية: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾. **قال**: سُبْحانك ربي ما أَحلمكَ، ما أَعظمكَ! إذا كان هذا حِلمكَ بفرعون الذي قال: (أنا ربّكُم الأعلى) فكيف حلمُكَ بعبدٍ قال: (سُبْحانَ ربِّي الأعلى)؟.

قيل لأعرابي: إنكَ ميِّتٌ!
فقال: ثم إلى أين؟!
قيل: إلى الله تعالى.
فقال: ما وجدنا الخيرَ إلا من الله تعالى، أفنخشى لقاءَهُ؟!!!.

ربي أرحم

✓ **قال سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله لو قامت القيامة ما أُحبّ أنَّ الذي يُحاسبني على دخول الجنة أَبي، بل أُحبّ أنْ يُحاسَبني الله؛ لأنّه أرحم بي من أَبي).

✓ **قال حماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما يَسُرّني أنَّ أَمري يوم القيامة صار إلى والديَّ، إنّ ربي أرحَمُ بي من والديَّ) [هبّي يا ريح الإيمان].

✓ **قال عطاء بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال بعض العُبّاد: لما علمتُ أنَّ ربي يلي محاسبتي، زالَ عنّي حُزني؛ لأنَّ الكريمَ إذا حاسبَ عبدهُ تفضَّلَ) [حُسن الظنّ بالله لابن أبي الدُّنيا].

ال ابن عون: (لو أن رجلاً انقطعَ إلى هؤلاء الملوك في الدُّنيا فكيف من يَنقَطِعُ إلى من له السَّموات والأرض وما بينها وما ي؟!) [صفة الصفوة].

لله درّهم

مرَّ معروف الكَرخي يوماً -وكان صائماً- بسَقَّاء ماء وهو يقول:

رحمَ اللهُ من شربَ! فشرب معروف رجاء الرَّحمة. [هبّي يا ريح الإيمان].

المقرّبون والرِّضا

قال عمر بن الخطّاب ﷺ:

(ما أُبالي أَصبحتُ على عُسر أو يُسر؛ لأنّي لا أدري أيّهما خيرٌ لي).

[إحياء علوم الدِّين].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ:

(ما أصبحتُ على حالٍ، فتمنيتُ أنْ أكونَ على غَيرها) [إحياء علوم الدِّين].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ:

(درجة الرِّضى عن الله عَزَّ وجَلَّ؛ درجةُ المقرَّبين، ليس بينهم وبين الله تعالى إلا روحٌ وريحان) [حلية الأولياء].

وقال عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الرِّضا.. بابُ الله الأَعظمُ، وجَنَّةُ الدُّنيا، ومُستراحُ العابدينَ).

[مختصر منهاج القاصدين].

وقال رجلٌ للبابة العابدة: أريدُ الحجَّ، فماذا أدعوا بالموسم؟

قالت: سَلْ الله تعالى شيئين: أنْ يَرضى عنك، ويبلِّغك منازل الرَّاضين عنه، وأنْ يجعلَ ذِكركَ فيما بين أوليائهِ. [صفة الصفوة].

قال الشافعيّ رَحِمَهُ اللهُ:

(أُذكر رضى من تَطلب، وفي أيّ نَعيم ترغب، ومن أيّ عقاب ترهب، فمن فكّرَ في ذلك؛ صَغُرَ عِنده عمله) [السير].

كان ضيغم رَحِمَهُ اللهُ يقول:

(لو عَلِمتُ أنَّ رضاهُ لي في تَقريضِ لحمي بالمقاريض؛ لفعلتُ ذلك) [الزهر الفائح في ذكر من تنزَّه عن الذنوب والقبائح].

وقيلَ لأَبِي حازِمٍ رَحِمَهُ اللهُ: ما مَالُكَ؟

قالَ: شيئانِ: الرِّضَى عن الله، والغِنَى عن النَّاسِ. [أدب الدنيا والدين].

قيل لبعض الصالحين:

قُتلَ ولدك في سبيل الله!

فبكى، فقيل له: أتبكي وقد استشهد؟

فقال: إنما أبكي كيف كان رضاهُ عن الله عزَّ وجلَّ حين أخذَتهُ السُّيوف. [تسلية أهل المصائب].

الخوف من الله

✓ **قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(أدركتُ من لم يكن يملأُ عينيهِ من السماءِ؛ خوفاً من ربِّه عَزَّ وجَلَّ).

[الحلية].

✓ **قال كعبُ الأحبَار:**

(والذي نفْسي بيدِهِ! لأنْ أبكي من خشية الله حتّى تسيل دموعي على وجنتي؛ أحبّ إليَّ من أنْ أتصدق بجبل من ذهب) [الإحياء].

✓ **ويأبى الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ إلا أنْ يُدلي بدلوه في هذا الأمر الهَامَّ فيقول:** (مَن عَلم عَظمة الإله؛ زادَ وجلُهُ، ومن خافَ نِقم ربِّه؛ حَسُنَ عمَلُه، فالخوفُ يَستخرجُ داءَ البطالة ويشفيه، وهو نِعمَ المؤدِّب للمؤمن ويكفيه) [المواعظ].

> **قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ:** (من خافَ اللهَ؛ دلَّهُ الخوفُ على كلِّ خير) [الإحياء].

✓ **قال عبدُ الله ابن الإمام أحمد:** قُلْت لِأَبِي: هَلْ كَانَ مَعَ مَعْرُوفٍ شَيْءٌ مِنْ الْعِلْمِ؟

فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ.. كَانَ مَعَهُ رَأْسُ الْعِلْمِ؛ **خَشْيَةُ الله تَعَالَى.**

[الآداب الشرعية والمنح المرعية]

المَهر الأعظم

✓ **قال الشيخ المغامسي في محاضرة له:**

(إنّ أعظمَ عطية، وأَجلَّ منحة إلهيّة؛ هي: لذَّة النَّظر إلى وجه الله، **ومهرُها الأعظم: الخوف من الله**).

مراقبة الله

قالَ رجلٌ لوهيبِ بنِ الوَرد: عِظْني.

قالَ: اتّق أنْ يَكونَ اللهُ أَهونَ النَّاظرينَ إليكَ. [حلية الأولياء].

قال ذو النون رَحِمَهُ اللهُ:

(علامةُ المراقبة: إيثارُ ما أَنزلَ اللهُ، وتعظيمُ ما عظَّم الله، وتصغيرُ ما صغَّر الله).

قال ابن عطاء رَحِمَهُ اللهُ:

(أفضل الطَّاعات مُراقبة الحقِّ على الدّوام) [الإحياء].

(الحياءُ؛ ليسَ خفضُ الرأسِ، ولا احمرارُ الوجه!! الحياءُ أن لا يجدُكَ اللهُ حيثُ نهاكَ).

البكاء من خشية الله

✍ **قيل للحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ:** نراكَ طويل البكاء؟

فقال: أخاف أنْ يَطرَحني في النار ولا يُبالي! [الداء والدواء].

✍ **وقال عطاءُ الخفّاف:** ما لقيتُ سفيان الثوريّ إلا باكياً، فقلت: ما شأنُكَ؟

قال: أخاف أنْ أكون في أمّ الكتاب شقيًّا. [الحلية].

أنامُ على سهو وتبكي الحمائمُ ... وليس لها جُرمٌ ومنّي الجرائمُ

كذبتُ لعمرُ الله لو كنتُ عاقلاً ... ما سبقتني بالبكاء الحمائم

✍ **قالَ الحسَنَ بن عَرَفَةَ:** رأَيتُ يَزِيدَ بنَ هارُونَ بِوَاسِطَ، وهو مِن أَحسَنِ النَّاسِ عَيْنَيْنِ، ثُمَّ رأَيتُهُ بِعَيْنٍ واحِدَةٍ، ثُمَّ رأَيتُهُ وقد عَمِيَ، فقلتُ لهُ: يا أبا خالدٍ! ما فَعلَتِ العَينَانِ الجَمِيْلتَانِ؟

قالَ: ذَهبَ بِهِمَا بُكاءُ الأَسحَارُ. [سير أعلام النبلاء].

✍ **وعدَّ ابنُ الجوزي الدُّموعَ ثمناً لعفو الله؛ فقال رَحِمَهُ اللهُ:**

(يا مَطرُوداً عن الباب! يا مَضروباً بسوط الحجاب! لو وفَّيتَ بعُهودنا؛ ما رميناكَ بصدودنا، **لو كاتبتَنا بدمع الأسف؛ لعفونا عن كلِّ ما سلَف**).

[المدهش].

سِترُ اللّه

✍ **قال يونس بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ:** قال رجلٌ لابن تيمية: كيف أَصبحتَ؟

قال: (أَصبحتُ بين نعمتين لا أدري أيّهما أفضل: ذنوبٌ سترها الله؛ فلا يستطيع أنْ يُعيرني بها أحد، ومودةٌ قذفها اللهُ في قلوب العباد؛ لم يبلغها عملي). [الشكر لابن أبي الدُّنيا].

✍ **قال بعضُ صُلحاء السَّلف:**

(قد أصبحَ بِنا من نِعَم الله تعالى ما لا نُحْصيهِ؛ مع كَثرةِ ما نَعصيه، فلا ندْري أيُّهما نشكرُ! أَجميلُ ما ينشرُ، أمْ قبيحُ ما يستر؟) [أدب الدنيا والدين].

✍ **قال حكيم:**

(إنما يَمدحُك الناسُ؛ لأنَّ اللهَ سترَكَ، فالفضلُ لمن سترَ لا لمن مَدح).

فيا من أظهرَ الجميلَ، وسترَ القبيحَ.. لك الحمد حمداً كثيراً.

تأمل من حولك

قال بعض الصَّالحين: (إذا أَمسيتَ فاحمد الله؛ فكم من بيتٍ مهدومٍ، ودمٍ مسفوكٍ، وعرضٍ مَنهُوكٍ، ومالٍ مسلوبٍ؟!).

هتك السّتر

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(للعبد سترٌ بينه وبين الله، وسترٌ بينه وبين النَّاس، فمن هَتَكَ السِّترَ الذي بينه وبين الله؛ هَتَكَ اللهُ السِّترَ الذي بينه وبين النَّاس) [الفوائد].

التَّوكل على الله

رُكُونُ العبدِ وسُكونُه إلى خالقِهِ ومولاهُ، وتعلُّقُ قلبه به واعتمادُهُ بكليّته عليه، وتفويضُه الأمورَ لمن بيده مَقاليدُ الأُمور، ثقةً بالله وتوكلاً عليه، مع الأخذ بالأسباب؛ دليلُ صدق العبد في إيمانه.

⊙ **قال سعيدُ بنُ جبير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(التَّوكلُ على الله جِماعُ الإيمان) [الزهد/ لهناد].

⊙ **وقال رجل لمعروف الكرخي: أوصني.**

قال: (توكَّل على الله حتّى يكونَ جليسُكَ وأَنيسُكَ وموضعُ شكواكَ، وأكثر ذِكْرَ الموت حتى لا يكون لك جليسٌ غيره) [صفة الصفوة].

⊙ **وقال بعضُ الصَّالحين:** (متى رضيتَ بالله وكيلاً؛ وجدتَ إلى كلِّ خير سبيلاً) [إحياء علوم الدِّين].

⊙ **وقال مصطفى السِّباعي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كلُّ عسيرٍ إذا استعنتَ بالله؛ فهو يسير، وكلُّ يسيرٍ إذا اعتمدتَ فيه على نفسك أو أَحدٍ من خلقه؛ فهو عسير) [هكذا علّمتني الحياة].

⊙ **ومما اشتهر على الألسنة:** (كُن مع الله ولا تُبالي!).

أقوى النّاس

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الاستعانة بالله، والتَّوكّل عليه، واللجوء إليه، والدُّعاء له؛ هي التي تُقوِّي العبدَ، وتُيَسِّرُ عليه الأُمورَ، **ولهذا قال بعضُ السَّلف:**

من سَرَّهُ أنْ يكون أقوى النَّاس؛ فليتوكَّل على الله) [الفتاوى].

وقيل:

(لا تحزَنْ إذا مَنعَ اللهُ عنكَ شيء تُحِبّه، فلو عَلِمْتم كيف يُدَبّرُ الرَّبُّ أمُورَكم؛ لذابَتْ قلوبُكمْ من محَبّتِهِ؟!).

جاء في «زاد المعاد» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فالقوّة كلّ القوّة في التَّوكل على الله).

حنينُ المحبّينَ إلى الرّسول الأمين ﷺ

✍ **قال عمرو بن العاص رضي الله عنه:**

(ما كان أَحدٌ أَحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنتُ أُطيقُ أنْ أملأ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أنْ أصِفهُ ما أَطقتُ؛ لأنّي لم أكُن أملأ عينيَّ منه) رواه مسلم.

✍ **لما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوفاةُ، قالت امرأتُه:** واحزناه!

فقال: بل واطرباه! غداً نَلقى الأحبّة محمَّداً وصَحبَه. [أروع القصص].

✍ **قالت عبدةُ بنتُ خالد بن معدان:** (ما كان أبي يأوي إلى فراش مقيله؛ إلا وهو يَذكرُ فيه شَوقه إلى رسولِ الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يُسميهم ويقول: هم أَصلي وفَصلي، وإليهم يَحنُّ قلبي، طالَ شوقي إليهم؛ فعَجل ربِّي قبضي إليك!.. حتّى يَغلبَهُ النومُ) [مَحبّة الرّسول ﷺ بين الاتِّباع والابتداع].

كُلُّ القلوب إلى الحبيب تميلُ ... ومَعيَ بهذا شاهدٌ ودليلُ
أمَّا الدَّليلُ إذا ذَكرت محمَّداً ... صارت دُموع المحبّين تسيلُ

✍ **قال أنس بن مالك رضي الله عنه:**

(لقد أَدْرَكْتُ عَجَائِزَ بالمدينة لا يُصَلِّينَ صلَاةً إلا سَأَلْنَ اللهَ تعالى أنْ يُورِدَهُنَّ حَوضَ مُحَمَّدٍ ﷺ) [السُّنة لابن أبي عاصم].

إذا ذُكِرَ الحبيبُ ﷺ

هذا هو حالهم إذا ذُكِرَ عندهم رسول الله ﷺ، فما هو حالنا يا ترى؟!

قال إسحاق التجيبي رحمه الله:

(كان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ بَعْدَهُ، لا يذكرونَهُ إلا خشعوا، واقشعرَّت جلودهم، وبكوا) [الشفا بتعريف حقوق المصطفى].

كلٌّ على ليلاهُ أضناهُ الهوى ... وأنا الهوى بمحمدٍ ترياقِ
إن مرَّ طيفُ محمدٍ في خاطري ... هاجَت بحارُ الحُبِّ في أعماقِ
فاللهُ صلّى والملائكـــةُ اقتدت ... فاهتزَّ كلُّ الكونِ بالأشـــواقِ

ونقلَ ابنُ جَمَاعة الكناني في كتابه «تذكرة السَّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم» شيئاً من ذلك؛ فقال رحمه الله:

كان الإمام مالك إذا ذُكِرَ النَّبيُّ ﷺ يتغيّر لونه، ويَنْحَني.

وكان جعفر بن محمد إذا ذُكِرَ النَّبيُّ ﷺ عنده اصفرَّ لونُه.

وكان ابنُ القاسم إذا ذُكِرَ النَّبيُّ ﷺ؛ يجفُّ لسانه في فيه، هيبةً لرسول الله ﷺ.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: (كنّا ندخل على أَيوب السّختياني؛ فإذا ذكَرنا له حديثَ رسول الله ﷺ؛ بكى حتّى نرْحمه) [السير].

ألا يا مُحبَّ المصطفى زِدْ صبابةً ... وضَمِّخ لسانَ الذِّكر مِنك بطِيبِهِ
ولا تعبَأنَّ بالمبطِلِينَ فإنما ... علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حبيبِهِ

صدق الاتِّباع

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مدارج السالكين»:

(لما كَثُرَ المُدَّعُون للمحبَّة؛ طُولِبوا بإقامة البيِّنة على صحة الدّعوى، فلو يُعطى النَّاس بدعواهم لادّعى الخَلِيُّ حُرقة الشجِيِّ.

فتنوّع المدَّعون في الشّهود، فقيل: لا تُقبل الدّعوى إلا ببيِّنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ فتأخَّر الخَلقُ كلّهم، وثبَتَ أتْباع الحبيبِ في أفعاله وأخلاقِه).

قال الجُنيدُ بن محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الطُّرقُ [إلى الله] كلّها مسدودة على الخَلق؛ إلا من اقتفى أثرَ الرسول ﷺ، واتَّبع سُنّته، ولزم طريقتَه، فإنّ طُرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه؛ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾) [تلبيس إبليس].

قيل للحسن البصريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سَبَقَنَا القومُ على خيلٍ دُهمٍ [أي: سود]، ونحنُ على حُمر مُعقّرة [أي: مجروحة]! فقال: إن كنتَ على طريقهم؛ فما أسرع اللحاق بهم) [الفوائد].

اختيار

قيل: (عند الشدائد يَختارُ الكثيرُ مَنهَج السَّلامة، بينما يختارُ القِلّةُ سلامة المنهج).

ويقول الدكتور عبد العزيز الطريفي: (لا تلتفت خلفَكَ لترى كثرةَ الأتْباع، وإنّما انظر أمامَكَ لترى سلامةَ الطريق).

السُّنّة وغربةُ أهلها

أَهلُ السُّنَّة غُرباءُ في هذا الزَّمن وقبل هذا الزّمن، تتفاوتُ غربتهم من وقت لآخر، وذنبهم أنهم جعلوا القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة قائدَهم ودليلَهم، واتَّبَعوا آثار الصحابة حذو القذّة بالقذّة، يَسيرونَ مع الدليل حيث سار، ويُنيخون مطاياهم لأحاديث النبيِّ ﷺ وما صحَّ عنه من أخبار، فيتّبعونَ ولا يَبتدعون، ويَقتدونَ ولا يُقلِّدون؛ فكان هذا سببُ غربتهم، ووحشةُ النّاس منهم.

❁ **قال سفيان الثوري ليوسف بن أسباط:**

(يا يوسف.. إذا بلَغك عن رجل بالمشرق أنّه صاحبُ سُنّة، فابعث إليه بالسَّلام، وإذا بلغكَ عن رجل بالمغرب أنّه صاحب سُنّة، فابعث إليه بالسَّلام؛ فقد قلَّ أهلُ السُّنَّة والجماعة) [تلبيس إبليس].

❁ **وقال أيضاً** رَحِمَهُ اللَّهُ: (استوصوا بأهل السُّنّة خيراً، فإنهم غُرباء).

[اعتقاد أهل السُّنّة].

❁ **قال محمّد بن شهاب الزُّهريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (الاعتصامُ بالسُّنَّة نجاةٌ).

[السير].

❁ **وما أروع ما قاله السيوطي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «دُرر الكلم وغُرر الحِكم»:** (السُّنّة.. السُّنة، ولو عَلَتْكَ الأسِنّة[1]).

❁ **وقال أيضاً :** (من تمسّكَ بسُنةِ أحمد؛ فهو مِن الناس أحمد).

---

١) الرِّماح.

أهل الحديث

قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث؛ فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ -جزاهم الله خيراً- هم حفظوِا لنا الأصل؛ فلهم علينا الفضل) [مواعظ الشافعي لصالح الشامي].

لماذا الحزنُ؟!

قال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ماتَ على الإسلام والسُّنة؛ فله بشير بكلِّ خير) [شرح اعتقاد أهل السُّنّة].

وقال المعتمر بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: مات صاحبٌ لي كان يَطلبُ الحديثَ، فجزعت عليه، فرأى أَبي جَزعي عليه فقال: يا مُعتمر كان صاحبُكَ -هذا- على السُّنّة؟ قلتُ: نعم.

قال: فلا تجزع عليه، ولا تحزن عليه. [صفة الصفوة].

قال عائض القرني: (ترجوا الجَنَّة وتُفَرِّطُ في السُّنة!! الحياةُ: شريعةٌ ودمعةٌ، وركعةٌ، ومحاربةُ بدعة) [رفع الهمم إلى القمم].

ألمٌ يَهزّ أعماق الفؤاد

قال أيوب السّختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّه ليَبلُغني موت الرَّجل مِن أهل السُّنَّة؛ فكأنما يَسقطُ عضو من أعضائي) [الحلية].

الله يغضب لأهل السُّنة

قال الشيخ سلمان بن فهد العودة: (إذا كانَ للشيعة دولة تغضبُ لهم، وللنّصارى دول تحامي دونهم، فإنَّ المسلمينَ وأهلَ السُّنة؛ يغضبُ لهم الجبارُ مِن فوقِ سبع سماوات) [وذروا ظاهر الإثم وباطنه].

الصحابة رضي الله عنهم

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(من كان منكم مُتأسياً فليتأسَّ بأصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنّهم كانوا أَبرَّ هذه الأُمَّة قُلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تَكلّفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً) [جامع بيان العلم وفضله].

قال السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمه الله:

(سمعتُ بِشر بن الحارث يقول: ما أنا بشيء من عملي أوثق به منّي بحُبِّي أصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم) [الحلية].

وقال ابنُ القيِّم في «زاد المعاد»:

(قال بعض السَّلف: مثلُ أصحاب محمَّد صلى الله عليه وسلم مثل العين؛ ودواءُ العين تركُ مسّها).

قال الإمامُ الشافعي رحمه الله لبعض أصحابه:

(لا تَخوضنَّ في أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنَّ خصمكَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم غداً) [السير].

احذرهم.. فإنهم زنادقة

قال أبو زُرعة الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا رأيتَ الرَّجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؛ **فاعلم أنّه زِنْديق**، وذلك أنّ الرسولَ ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أَدّى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنّما يُريدون أَنْ يَجرحوا شُهودَنا؛ ليُبطِلوا الكِتابَ والسُّنة، والجرحُ بهم أوْلى، وهم زنادقة) [الكفاية في علم الرواية].

وفي ردِّه على الطاعنين في أصحاب النبيِّ ﷺ قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فإنَّ القدحَ في خير القرون الذين صحِبوا الرسول ﷺ قدحٌ في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم، هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجلُ سوء كان له أصحابُ سوء، ولو كان رجلاً صالحاً؛ لكان أصحابه صالحين.

وأيضاً فهؤلاء [أي: الصَّحابة] الذين نقلوا القرآن والإسلام، وشرائع النبيِّ ﷺ، وهم الذين نقلوا فضائل عليّ وغيره، فالقدحُ فيهم؛ يوجبُ أن لا يوثقَ بما نقلوه من الدِّين) [الفتاوى].

الزُّهد

سِرُّ الزّهد

✓ **قال عبدُ الله بن مسعود ﷺ لأصحابه:**

أنتم أطولُ صلاة وأكثرُ اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضلَ منكم.

قيل له: بأيِّ شيء؟!

قال: إنهم كانوا أزهد في الدُّنيا وأرغبَ في الآخرة منكم. [صفة الصفوة].

✓ **وسُئل الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللهُ:** ما سرُّ زهدِك في الدُّنيا؟

فقال: (عَلِمتُ بأنَّ رزقي لن يأخذه غيري؛ فاطمئنَّ قلبي له، وعَلِمتُ بأنّ عملي لن يقوم به غيري؛ فاشتغلتُ به، وعَلِمتُ بأنَّ الله مُطَّلعٌ عليَّ؛ فاستحييتُ أنْ أُقابله على معصية، وعَلِمتُ بأنَّ الموتَ يَنتظرني؛ فأعددتُ الزَّاد للقاءِ الله).

قال ذو النون رَحِمَهُ اللهُ: (ما رَجَعَ مَن رَجَعَ إلا من الطَّرِيقِ، ولو وصَلُوا إلى الله ما رَجَعُوا، فازْهَدْ يا أخي في الدُّنيا تَرَى العَجَبَ) [الزهد الكبير].

✓ **وهو الذي قال:** (مَن عَرفَ ربَّه أحبَّهُ، ومَن عَرفَ الدُّنيا زهِد فيها) [الحلية].

ملكٌ في الدُّنيا والآخرة

✍ قال رجل لمحمَّد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ: أوصني!

قال: أوصيك أنْ تكون مَلِكَاً في الدُّنيا والآخرة!

قال: كيف لي بذلك؟

قال: ازهد في الدُّنيا. [الحلية].

✍ وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَلَغَني أَنَّه ما زَهِدَ أحدٌ فِي الدُّنيا واتَّقى، إِلاَّ نَطَقَ بِالحِكمَةِ) [سير أعلام النبلاء].

✍وجاء في «حلية الأولياء» ما نصُّهُ:

(كتبَ بعضُ بني أُميَّة إلى أبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ يَعزمُ عليه إلا رفعَ إليه حوائجه، فكتب إليه:

قد رفعتُ حوائجي إلى مولايَ، فما أعطاني منها قبلتُ، وما أمسك منها عني قنعتُ).

العابد الأعمى

✓ قال عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من قَوِيَ على بَطنه؛ قويَ على دِينِه، ومن قويَ على بَطنه؛ قويَ على الأخلاق الصَّالحة، ومن لم يَعرف مضرَّته في دِينه من قِبل بَطنِهِ؛ **فذاك رجلٌ في العابدين أعمى**) [الحلية].

لذّاتُ الدُّنيا

قال مالك بن دينار: قالوا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا الحسن؛ صِف لنا الدُّنيا. قال: أُطيلُ أم أقصر؟ قالوا: بل أقصر.

قال: حلالها حساب، وحرامها النَّار. [ذمّ الدُّنيا].

قال الحسن البصري رحمه الله: (المؤمن في الدُّنيا كالغريب؛ لا يَجزعُ من ذُلّها، ولا يُنافسُ في عِزِّها، له شأنٌ وللنّاس شأن) [جامع العلوم والحكم].

قال أبو الصَّقر عبد العزيز بن عثمان رحمه الله:

(عَظُمَ في أعين النَّاس؛ من صَغُرت الدُّنيا في عينه) [تتمّة صوان الحكمة].

قال عبد الأعلى التيمي رحمه الله: (شيئان قطَعَا عنّي لذّات الدُّنيا: ذِكرُ الموت، والوقوفُ بين يدي الله) [إيقاظ أولي الهمم العالية].

وقال أبو سليمان الدَّاراني رحمه الله: (لا يَصبرُ عن شَهواتِ الدُّنيا؛ إلا مَن كانَ في قلبِهِ ما يُشغِله عن الآخرة) [ذمّ الدنيا].

وقال أحدُ الصّالحين: (الدُّنيا عند الله تعالى لا قيمةَ لها، مع أنه يَملكُها، فكيفَ تكونُ لها قيمة عِندكَ وأنتَ لا تملِكُها).

غايةُ المُنى

قال ابن القيِّم رحمه الله في كتابه «الفوائد»: (يخرجُ العَارفُ من الدُّنيا ولم يَقض وطَرَهُ من شيئين: بكائه على نفسه، وثنائه على ربِّه).

وقال مالك بن دينار رحمه الله: خرجَ أهلُ الدُّنيا من الدُّنيا ولم يذوقوا أطيبَ شيء فيها!

قالوا: ما هو يا أبا يحيى؟

قال: معرفةُ الله تعالى. [السير].

الموت

✍ **قال مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ:**

كُنَّا عند زُهَيرٍ البَابِيِّ، فقالَ له رَجُلٌ: يا أَبا عَبدِ الرَّحمنِ تُوصِي بِشَيْءٍ؟ **فقالَ:** نَعَمْ.. احْذَرْ لَا يَأْخُذْكَ اللهُ وَأَنْتَ عَلَى غَفْلَةٍ. [شعب الإيمان].

✍ **قَالَ مَعْرُوف الكرخي -بَعد ثنائه على أحمد بن حنبل-: سَمِعْت منه كَلِمَتَيْنِ أَزْعَجَتَانِي:** (مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إذا ماتَ نُسِيَ، فَلْيُحْسِنْ وَلَا يُسِئْ) [الآداب الشرعية والمنح المرعية].

حُسن الظنّ بالنّاس

✍ **قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:** (من أَحبَّ أنْ يُقضى له بالحُسنى؛ فليُحسن بالنَّاس الظَّنَّ) [مواعظ الشافعي لصالح الشامي].

✍ **قال أحدهم:**

(والله إنّ العبدَ ليصعبُ عليه مَعرفة نيّته في عمله، فكيف يَتسلّطُ على نيّات الخَلق؟!).

قال مُصطفى السِّباعي رَحِمَهُ اللهُ:
(لأن تُحسن الظنَّ فتندم، خير من أن تُسيء الظنَّ فتندم) [هكذا علمتني الحياة].

من يعمل لمثل ساعتي

قالت أُمُّ الدَّرداء:

لـمَّا احتضرَ أبو الدَّرداء ﷺ جعلَ يقولُ: من يَعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مَضجَعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الحلية].

قال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ: (انظر الذي تُحبّ أن يَكُونَ معكَ في الآخرةِ؛ فقدِّمهُ اليوم، وانظر الذي تكره أن يَكونَ معكَ -ثَمْ- فاتركُهُ اليوم) [شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور].

بكى إبراهيم النّخعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في مرضه، فقالوا له:

يا أبا عمران ما يُبكيك؟

قال: وكيف لا أَبكي وأنا أَنتظرُ رسولاً من ربي يُبشِّرني: إمّا بهذه، وإمّا بهذه؟! [أي: إمّا بجَنّة، أو بنَار]. [الحلية].

لما احتضر مسروق بن الأجدع بكى، فقيل له:

ما هذا الجزعُ؟!!

قال: ما لي لا أَجزَع، وإنما هي ساعةٌ، ولا أدري أين يُسلكُ بي، وبين يديَّ طريقان: لا أدري إلى الجنة أم إلى النَّار) [صفة الصفوة].

ولما حضرت ابنَ المنكدر الوفاةُ؛ بكى رَحِمَهُ اللَّهُ!

فقيل له: ما يُبكيكَ؟

فقال: (والله ما أبكى لذنب أعلم أني أتيتُهُ، ولكن أخاف أنّي أتيتُ شيئاً حسبتُهُ هَيّناً وهو عِندَ اللهِ عظيمٌ) [إحياء علوم الدِّين].

ما يُغني عنّي هؤلاء

قال سعيد بن عامر رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثني صاحبٌ لنا قال: لما ثَقُل محمّد بن واسع[1] كثرَ النَّاسُ عليه في العيادة، فدخلتُ، فإذا قومٌ قيام، وآخرون قعود، فقعدتُ، **فأقبلَ عليَّ فقال:** أَخبرني ما يُغني عنّي هؤلاء إذا أُخذ بناصيتي وقدمي غداً، وأُلقيتُ في النَّار؟! [المحتضرين].

من يبكي عنّي

قال يزيد الرَّقاشيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: دخلتُ على عابد وإذا أَهلُ بيتِهِ حوْلهُ، فإذا هو مجهودٌ قد أَجهده الاجتهاد [في العبادة والطاعة].

فبكى أَبوه، فنظرَ إليه، ثم قال: أيُّها الشيخ؛ ما الذي يُبكيكَ؟

قال: يا بُني، أَبكي فَقدكَ، وما أرى من جُهدكَ.

قال: فبكت أُمُّهُ، فقال: أيّتها الوالدة الشّفيقة الرَّفيقة! ما الذي يُبكيك؟

قالت: يا بُني؛ فِراقك، وما أَتعجَّلُ من الوحشة بَعْدَكَ؟

قال: فبكى أَهلهُ وصبيانه، فنظرَ إليهم، ثم قال: يا معشرَ اليتامى -بَعد قليل- ما الذي يُبكيكم؟

قالوا: يا أبانا نبكي فِرَاقك، وما الذي نتعجَّل من اليُتم بَعدَكَ.

فقال: أقعدوني. ثم قال: أرى كلّكم يَبكي لدُنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي؟ أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التُّراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمسألة منكر ونكير إيَّاي؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي الله ربِّي!!! قال: ثم صرخ صرخةً فمات. [صفة الصفوة].

---

[1]) أي: اشتد مرضه.

أضحكني وأبكاني

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

(أَضحكني ثلاث، وأَبكاني ثلاث: ضحكتُ من مُؤمِّل الدُّنيا والموتُ يَطلبُه، وغافلٍ لا يُغفل عنه، وضاحكٍ ملء فيه لا يَدري أَمُسْخِط ربّه أَم مُرْضيه.

وأبكاني ثلاث: فِراقُ الأحبّة محمَّدٍ وحِزبَه، وهولُ المطلع عند غمرات الموت، والوقوفُ بين يدي ربِّ العالمين؛ حين لا أَدري إلى النَّار انصرافي، أم إلى الجنَّة) [الحلية].

الحزن

● **قال الحسن البصري رحمه الله:**

(يحقُّ لمن يَعلم أنَّ الموتَ مَورِدهُ، وأنَّ السّاعةَ موعِدهُ، وأنَّ القيامَ بين يدي الله تعالى مشهدُهُ؛ أنْ يَطول حُزنه) [الحلية].

● **وقال يونس بن عبيد رحمه الله:**

ما رأَيتُ أحداً أطولَ حُزناً من الحسن، **كان يقول:** نضحك! ولعلَّ اللهَ قد اطّلع على أعمالنا فقال: لا أقبلُ منكم شيئاً. [الحلية].

ذكر الموت وذكر القبر

● **قال أبو عليّ الدَّقاق رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(من أكثرَ ذكرَ الموت؛ أُكرم بثلاثٍ: تعجيلِ التَّوبة، وقناعَةِ القلب، ونشاطِ العبادة) [شرح الصدور].

● **قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ:** (مَن أكثرَ مِن ذِكر القبرِ؛ وجدَهُ روضةً مِن رياض الجنَّة، ومَن غفل عن ذِكره؛ وجدَهُ حُفرة مِن حُفر النَّار) [تسلية أهل المصائب].

● **قال سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:**
(كلُّ عَملٍ تَكرَهُ مِن أَجلِهِ الموتَ فاترُكهُ، ثُمَّ لا يَضرُّكَ مَتى مِتَّ)
[سير أعلام النبلاء].

لا يغرّنك

● **قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(رحمَ الله رجلاً لم يَغرّه كثرة ما يَرى من كَثرة النَّاس، ابن آدم! إنك تموتُ وحدَكَ، وتدخلُ القبر وحدَكَ، وتُبعثُ وحدَكَ، وتحاسبُ وحدَكَ، ابن آدم! وأنت المعنيُّ، وإيَّاكَ يُرَادُ) [الحلية].

حُسن الخاتمة

● **قال خيثمة رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كان يُعجبهم أنْ يَموت الرَّجل عند خيرٍ يعمَلهُ: إمّا حجّ، وإمّا عمرةٌ، وإمّا غَزاة، وإمّا صيام رمضان) [حلية الأولياء].

● **قال أبو نُعيم رَحِمَهُ اللَّهُ:** (مات مجاهد وهو ساجد!) [السير].

ومجاهدٌ هذا؛ هو: الإمامُ أبو الحجاج المكيّ، شيخُ القُرّاء والمُفسّرين.

● **قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(مات خالد بن معدان وهو صائم!) [السير].

● **قال نوح بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كان أبو بشر جعفر اليَشكريّ ساجداً خَلْفَ المقام حين مات رَحِمَهُ اللَّهُ) [السير].

● **ذكرَ ابنُ العماد في «شذرات الذَّهب» ترجمة الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه:**

(كان لا يَكادُ يَسمعُ دعاءً؛ إلا حفظهُ ودعا به، ولا يَسمعُ ذِكرَ صلاةٍ إلا صلّاها، ولا يَسمعُ حَديثاً إلا عمل بهِ، وكانَ لا يَترُكُ قيامَ الليل من وقت شبوبيته... ومات وهو عاقدٌ على أصابعه يُسبِّح).

لما احتضرَ زكريا بن عدي رَحِمَهُ اللَّهُ، رفعَ يَديه وقال: اللهمَّ إنّي إليكَ لمشتاقٌ.

[جامع العلوم والحكم].

● **قال إبراهيم بن أبي بكر بن عياش:** شهدتُ أبي عند الموت، فبكيتُ فقال: ما يُبكيكَ؟! فما أَتى أبوكَ فاحشةً قطُّ. [روضة المحبّين].

فتاة في ريعان الشباب

قال أبو عياش القطّان رَحِمَهُ اللَّهُ: كانت امرأةٌ بالبصرة مُتَعَبِدة يقال لها: (مُنيبة) ولها ابنة أشدّ عبادة منها، فكان الحسنُ ربّما رآها وتعجَّبَ من عبادتها على حَداثة سِنِّها.

فبينما الحسنُ ذاتَ يوم جالس إذ أتاه آت، فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت، فوثَبَ الحسنُ فدخل عليها، فلما نظرت إليه الجارية بكت، فقال لها: ما يُبكيك؟

أول ليلةٍ في القبر أحداثٌ لن يرويها لكَ أحدٌ، ولن ترويها لأحد.

فقالت له: يا أبا سعيد؛ الترابُ يُحثى على شبابي **ولم أشبع من طاعة ربي**، يا أبا سعيد؛ انظُرُ إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً، وكفِّنها بكفن حَسَن.

والله، لو كُنتُ أُجهّزُ إلى مَكّة لطالَ بُكائي؛ كيف وأنا أُجهّزُ إلى ظُلمةِ القُبور ووحشتِها وبيت الظلمة والدُّود؟! [صفة الصفوة/ بتصرف].

الجنَّة والنار

عجبتُ

◄ **قال المعلى بن زياد** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان هرم بن حيّان يخرجُ في بعض الليل، ويُنادي بأَعلى صوتِهِ: عجبتُ من الجنَّة كيف نام طالبُها؟! وعجبتُ من النَّار كيف نام هاربُها؟!

ثم يَقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [السير].

أعظم الغبن

وقال الشيخ صالح المغامسي:

(ومن أعظم الغبن: أنْ يقول اللهُ جلَّ وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فيخبرُ الله أنّها جَنّة عَرضُها السَّماوات والأرض، ولا يَجدُ أَحدُنا فيها موضع قدم) [محاضرة: آيات وعظات].

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أَشقى الخلق الذي لم تُدركهُ رحمةُ الله التي وسِعت كلَّ شيء).

العاقل

◄ **قال ابن حزم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (العاقلُ لا يَرى لنفْسِه ثمناً إلا الجنَّة).

[الأخلاق والسير].

◄ **وقال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كيف يكون عاقلاً من بَاعَ الجنَّة بما فيها بشهوةِ ساعة) [الفوائد].

يدخل الجنّة وهو يضحك

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنَّ الذين ألسنتَهم رطبة بذِكر اللهِ عَزَّ وجَلَّ؛ يدخل أحدهم الجنَّةَ وهو يَضحك) [الحلية].

يدخل النار وهو يبكي

قال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: (من يأتي الخطيئةَ وهو يَضحك؛ دخل النَّارَ وهو يَبكي) [الحلية].

الأمان

قال معاذ بنُ جبل رضي الله عنه: (إنّ المؤمنَ لا يَطمئنُ قلبُهُ، ولا تَسكنُ روعتُهُ، حتّى يُخلِّف جِسر جَهنَّمَ وراءَهُ) [إحياء علوم الدِّين].

أما عامر بن عبد قيس رحمه الله؛ **فقد سألتهُ ابنتُهُ:** ما لي أَرى النَّاسَ ينامون ولا أَراك تنام؟

فقال: يا بُنيّة إنَّ جهنّم لا تدع أَباكِ ينام. [الزهد لابن حنبل].

مرَّ أحدُ الصالحين برَجلٍ يشوي لحماً؛ فبكي!!

فقال له الرجلُ ما يُبكيكَ؟! أو مُحتاجٌ إلى اللحم؟!

قال الرجلُ الصالحُ: لا.. إنما أبكي على ابن آدم!! دخلَ الحيوانُ هذه النارُ وهو ميّت، ويدخلُ ابن آدم النارَ وهو حيٌّ.

الورع

خير دينكم الورع

هذا العنوان جزءٌ من حديث يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**فضلُ العلم أَحبُّ إليَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينِكم الورع**» [صحيح الجامع/ ٤٢١٤].

قال أشهب بن عبد العزيز رحمه الله:

(إنما الورع في المشتبهات، وأما الكبائر فكلّ أحد يتقيها) [ترتيب المدارك].

قال الشافعيُّ رحمه الله:

(أشدُّ الأعمال ثلاثة: الجودُ من قِلة، والورعُ في الخلوة، وكلمةُ الحقِّ عند من يُرجى ويُخاف) [صفة الصفوة].

قال سفيان الثوري رحمه الله:

(عليك بالورع؛ يُخفّف الله حسابَك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشَّكَّ باليقين؛ يَسلم لك دِينكَ) [الورع لابن أبي الدنيا].

وسفيان هذا؛ قال عنه قتيبة بن سعيد:

(لولا سفيان لمات الورع) [سير أعلام النبلاء].

التقوى والمتقين

قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما زالت التقوى بالمتقين؛ حتّى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرَام) [رياضُ الأُنس].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنما سُمّوا المتقين؛ لأنّهم اتقوا ما لا يُتّقى).

وقال مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(يكفيكَ مِن التَّقوى بَرد الاطمئنان، ويَكفيك مِن المعصية نار القلق والحرمان) [هكذا علَّمتني الحياة].

ويقول محمّد حسَّان: (فحقٌّ على الله لمن اتّقاهُ؛ أنْ يُحسِنَ اللهُ بدايتَهُ، وأنْ يتولّى اللهُ رعايتَهُ، وأنْ يُحسِنَ الله نهايتَهُ) [محاضرة: الخوف من سوء الخاتمة].

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (انظر درهمك من أين هو؟ وصلّ في الصّفِّ الأخير).

[الزهد الكبير للبيهقي]

لا يَضُرّك

وقال مؤمل رَحِمَهُ اللَّهُ: (سمعتُ وهيباً يقول: لو قُمتَ قيام هذه السَّارية؛ ما نَفَعَكَ حتّى تنظرَ ما يَدخل بَطنكَ حلال أم حرام؟!) [الحلية].

وقال سهل التستري رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أَكلَ الحلالَ أطاع الله؛ شاء أَم أَبى، ومن أكلَ الحرامَ عصى الله؛ شاء أَم أَبى).

وقال الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (أهلُ السُّنّة؛ مَن عرفَ ما يدخل بطنهُ من حلال) [إتحاف الطّالب بمنازل الطلب].

وهذا شميط بن عجلان يُعرِّفك الحقيقة فيقول:

(إنما بطنُك -يا ابن آدم- شبر في شبر؛ فلِمَ يُدخلك النار) [الإحياء].

قصة

⊙ قال الحسن بنُ عرفة رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال لي عبدُ الله بن المبارك: اسْتعرتُ قلماً بأرض الشَّام، فذهبتُ على أنْ أردّهُ إلى صاحبه، فلما قدِمتُ مَرْوَ، نظرتُ؛ فإذا هو مَعي، فرَجَعتُ إلى الشّام حتّى رددتهُ على صاحبِهِ. [السير].

لنا فيه شركاء

⊙ روى العباس بن سهم رَحِمَهُ اللَّهُ: أنّ امرأةً من الصَّالحات أتاها نَعيُ زوجها وهي تَعْجِن، فرفعت يدها من العجين، وقالت:

هذا طعامٌ قد صار لنا فيه شركاء. [صفة الصفوة].

⊙ يا له من ورع دقيق! أدركتْ أنّ هذا العجين ليس لها؛ بل هو مال زوجها، وبموت الزَّوجُ؛ صار للورثة في العجين نصيب؛ فتركته.

محاسبة النفس

عند ذِكر هذا الموضوع؛ أوَّلُ ما يتبادرُ للذهن قول الفاروق عمر ابن الخطاب ﷺ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أنْ تُوزنَ عليكم) [الزهد لأحمد بن حنبل].

وقد كان توبَةُ بن الصِّمَّةِ بالرَّقَةِ، وكان مُحاسِباً لنَفْسِهِ، فحَسَبَ؛ فإذا هو ابنُ ستِّينَ سَنَةً، فحَسبَ أيّامهَا؛ فإذا هي أحد وعِشرونَ ألفَ يومٍ وخمسُ مائة يوم، فصَرَخَ، وقال:

يا ويلَتِي! ألقَى ربي بِأحد وعَشْرِينَ أَلفَ ذَنبٍ، كيف وفِي كلِّ يومٍ آلاف من الذّنوب، ثمّ خَرَّ مَغشيًّا عليه؛ فإذا هو ميت. [إغاثة اللهفان].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ العبدَ لا يزالُ بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همِّه) [الحلية].

وذكرَ الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ أمراً عجيباً في محاسبة النّفْس فقال: (أعرفُ من يَعُدُّ كلامَهُ من الجمعة إلى الجمعة) [صيد الخاطر].

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّقيُّ أَشدُّ محاسبةً لنفْسِهِ من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح) [إحياء علوم الدِّين].

قال ابن دَقِيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما تكلَّمتُ بكلمةٍ، ولا فَعلتُ فعلاً؛ إلا أعددتُ لذلك جَواباً بين يدي الله تعالى). [من سير علماء السلف عند الفتن].

التوبة الصادقة

حقيقتها

قال ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (حقيقة التوبة: أنْ تضيق عليك الأرضُ بما رَحُبت؛ حتّى لا يَكونُ لكَ قرارٌ، ثم تضيق عليك نَفسُكَ).

وقال طلق بنُ حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إنّ حقوقَ الله تعالى أَعظم من أنْ يقوم بها العِبادُ، وإنّ نِعمَ الله أكثر من أنْ تُحصى؛ ولكن اِصبحوا تائبين، وامسوا تائبين) [السير].

تعجيل التوبة

قال لقمان الحكيم لابنه: (يا بُني.. لا تؤخِّر التَّوبة؛ فإنَّ الموتَ يأتي بغتة) [لطائف المعارف].

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: (هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك، يُغفر لك ما مضى) [الزهد/ لأحمد].

مجالسة التائبين

قال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ:

(جالسوا التَّوابين؛ فإنّهم أرقُّ النَّاس ذُنوباً) [صفة الصفوة].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في نَفْس الكتاب: (قلبُ التائب بمنزلة الزجاجة؛ يؤثِّر فيها جميع ما أصابَها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرِّقة أَقرب، فداووا القلوب بالتوبة؛ فلرُبَّ تائب دعته توبته إلى الجنَّة؛ حتى أوفدته عليها، جالسوا التَّوَّابين؛ فإنَّ رحمة الله إلى التَّوَّابين أقرب).

الذّنوب والمعاصي

✍ **قال عبدُ بنُ عبّاس** رضي الله عنهما :

(يا صاحبَ الذَّنبِ؛ لا تأمننَّ من سُوء عاقبتِهِ، ولَـمَا يَتبعُ الذَّنب أعظمُ من الذّنب إذا عملتَهُ، فإنَّ قِلّة حيائك ممن على اليَمين وعلى الشِّمال، وأنتَ على الذَّنب؛ أعظمُ مِن الذَّنب الذي عملته، وضَحكك وأنت لا تَدري ما اللهُ صانعٌ بِكَ؛ أَعظمُ من الذَّنب، وفرحك بالذَّنب إذا ظفرت به؛ أعظمُ من الذَّنب، وحُزنك على الذَّنب إذا فاتَكَ؛ أَعظمُ مِن الذَّنب إذا ظفرت بهِ.

وخوفُكَ من الرِّيح إذا حرَّكت سِترَ بابك وأنت على الذَّنب ولا يَضطربُ فؤادك من نظر الله إليك؛ أعظمُ مِن الذَّنب إذا عملته) [حلية الأولياء].

✍ **وصدَحَ ابنُ الجوزيّ** رحمه الله **قائلاً:** (كلامُكَ مكتوب، وقولُكَ محسوب، وأنت -يا هذا- مَطلوب، ولك ذُنوب وما تتوب، وشمسُ الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبَك من بين القلوب) [التبصرة].

✍ **قيل للحسن البصري** رحمه الله: يا أبا سعيد: من أشدّ الناس صُراخاً يوم القيامة؟

(ويحكَ إذا عصيتَ المُغيثَ؛ فالمُستغاثُ بمن؟!)

فقال: رجلٌ رُزق نعمةً؛ فاستعانَ بها على معصية الله!! [لُباب الآداب].

يا خيبة العمر

جاء في كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزيّ رحمه الله أنه قال:

(وقد يُهانُ الشيخُ في كِبرِهِ حتّى ترحَمَهُ القُلوب، ولا يَدري أنَّ ذلك لإهمالِهِ حقَّ الله تعالى في شَبابِهِ! فمتى رأَيتَ مُعاقباً فاعلم أنّه لِذُنوب).

وقال أيضاً:

(وقد تتأخَّر العقوبة وتأتي في آخر العُمر، فيا طول التَّعثير مع كِبر السِّن لذنوب كانت في الشَّباب!

فالحذر الحذر من عَواقب الخطايا، والبِدار البِدار إلى مَحوها بالإنابة، فلها تأثيرات قبيحة، إن أسرعت، وإلا اجتمعت وجاءت).

تأمّلتُ كلام ابن الجوزي؛ فوجدتُه واقعاً ناطقاً، وصوره كثيرة، فكم من كبير في السِّن أُهين وازدراهُ -حتى أَقربُ النّاس إليه-؛ لتفريطِهِ في جَنب الله في ماضي أيامه وزهرة شبابه.

ورأيتُ من أَكرمه الناسُ عند مكبره، وأَجلُّوه واحترموه برغم فقره وعجزه ومرضه؛ غير أنه كان حافظاً لحدود الله مُراعيَاً لأوامره، ومجتنباً لنواهيه.

قالوا: (من جارَ على صِبَاهُ؛ جارت عليه شيخوختُه).

وكرَّرَ ابنُ الجوزي رحمه الله هذا المعنى في نفس الكتاب، فقال:

(بالله عليك يا مَرفوعَ القدر بالتّقوى، لا تَبع عِزّها بذل المعاصي، وصابر عَطشَ الهوى في هَجير المشتهى، وإنْ أمَضَّ وأرْمَضْ).

✍ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللهُ: (من استحيى من الله عند معصيته، استحيى اللهُ من عُقوبتِهِ يوم يَلقاهُ، ومن لم يَستحِ من معصيتِهِ، لم يَستح الله من عقوبته) [إغاثة اللهفان].

✍ **وقيل:** (من عظَّمَ وَقَارَ الله في قلبِه أنْ يَعصيه؛ وقَّره الله في قلوب الخَلق أنْ يذلّوه) [الفوائد].

✍ **قالَ الحكماء:** (مَن أَحَبَّ المكَارِمَ اجتَنَبَ المحَارِمَ) [أدب الدُّنيا والدِّين].

ذنوب الخلوات

✍ **قال ابنُ رَجب الحنبليّ** رَحِمَهُ اللهُ: (خاتمةُ السَّوءِ تكون بسبب دَسِيسة باطِنة للعبدِ؛ لا يَطَّلعُ عليها النَّاسُ) [جامع العلوم والحكم].

✍ **قال ذو النّون المصري** رَحِمَهُ اللهُ: (من خانَ اللهَ في السِّرِّ؛ هَتَكَ اللهُ سِترَهُ في العلانية) [الداء والدواء].

✍ **وقيل:** (أجمعَ العارفون بالله على أنَّ ذُنوبَ الخلوات هي أصلُ الانتكاسات، وأنَّ عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات).

التفكير في المعصية

✍ **سُئل وهيب بن الورد** رَحِمَهُ اللهُ: أيجد لذَّة الطَّاعة من يَعصي؟

قال: ولا من هَمَّ! [أي: بالمعصية] [صفة الصفوة].

✍ **سئل ابن عيينة عن غَمٍّ لا يُعرف سببه؟**

فقال: هو ذنب هممتَ به في سرِّك ولم تفعله، فجُزيت همّاً به.

قالَ ابنُ تيميّة مُعلقاً: (فالذّنوب لها عُقوبات: السِّرُّ بالسِّرِّ، والعلانيّة بالعلانيّة) [مجموع الفتاوى].

عقوبة.. ولكن لا تشعر

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أعظمُ المعاقبة: أنْ لا يَحسّ المعاقَبُ بالعقوبة، وأشدُّ من ذلك: أنْ يَقعَ السّرور بما هو عُقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتَّمكّن من الذّنوب) [صيد الخاطر].

قال عبد الله الرَّاسبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الهموم عُقوبات الذُّنوب) [نفحاتُ الأُنس].

قال ابن عثيمين:
(اللهُ يبتلي المرءَ بتيسير أسباب المعصية، حتى يعلمَ -سبحانه- من يخافُهُ بالغيب) [القول المفيد على كتاب التوحيد].

قال سليمانُ التيميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ الرجل لَيُصيب الذنبَ في السرِّ فيصبح وعليه مذلّتُه) [الداء والدواء].

وقيلَ: (عَارُ الفَضِيحةِ يُكَدِّرُ لذَّتَهَا) [أدب الدُّنيا والدِّين].

استغفركَ يا ربّ
(تَبّاً لِمَعصيَةٍ أَغضَبتُكَ بِهَا ربي؛ لأُرضِيَ بِهَا نَفْسِي)

حرمان الطّاعة

قال ابنُ الجوزيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحكماء: المعصية بعد المعصية؛ عقاب المعصية، والحسَنة بعد الحسنة؛ ثواب الحسنة، وربما كان العقابُ العاجل معنويّاً؛ كما قال بعضُ أَحبارِ بني إسرائيل: يا ربّ! كم أعصيك ولا تعاقبني؟

فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري؟ أليس قد حرمتُك حلاوة مناجاتي؟!) [صيد الخاطر].

جاء رجلٌ إلى الحسن البصريّ فقال له: إنّي أَعصي الله وأُذنب، وأَرى الله يُعطيني ويَفتح عليَّ من الدُّنيا، ولا أَجِدُ أنّي محروم من شيء؟!

فقال له الحسن: هل تقوم الليل؟ فقال: لا.

فقال: كفاك أنْ حَرَمَكَ اللهُ مناجاتهُ!

وقال الفُضيلُ بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار؛ فاعلم أنّك مَحْرُوم مُكبَّل، كَبَّلتكَ خطيئتُك) [صفة الصفوة].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّ الرَّجل ليذنب الذَّنبَ؛ فيُحرَم به قيام الليل) [المجالسة].

الشَّرف العظيم

قال رجل لإبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ: إني لا أَقْدِرُ على قيام الليل؛ فصف لي دواء؟!!

فقال: لا تعصِهِ بالنَّهار، وهو يُقيمك بين يَديه في الليل، **فإنَّ وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشَّرف**، والعاصي لا يَستحِقُّ ذلك الشَّرف.

هوان المُذنب على الله

✍ **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم، وإذا هانَ العبدُ على الله لم يُكْرمهُ أحد؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ وإنْ عظَّمهمُ النَّاسُ في الظَّاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرِّهم؛ فهم في قلوبِهم أَحقَر شيء وأَهوَنه) [الداء والدواء].

✍ **وقد قيل:** (تالله.. مَا عدا عليكَ العدوُّ إِلَّا بعدَ أَنْ تولَّى عنكَ الوليُّ، فلا تظنَّ أَنَّ الشيطانَ غلبَ، ولكنَّ الحافظَ أَعرضَ) [الفوائد].

✍ **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(المعصيةُ تورث الذّل -ولا بُدّ- فإنَّ العِزّ كلّ العِزّ في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنّه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السّلف: اللهمَّ أعزاني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك، **قال الحسن البصري:** إنّهم وإن طقطقت بهم البِغال وهملَجَت بهم البراذين[1]؛ إنَّ ذلَّ المعصية لا تفارقُ قلوبَهم، أبى الله إلا أن يذلَّ من عَصاهُ) [الداء والدواء].

---

١) الدّواب.

مؤمنٌ ومنافق

⊙ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنَّ المؤمن يَرى ذنوبَه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجرَ يَرى ذنوبه كذُباب مَرَّ على أَنفِه فقال به هكذا[1]) رواه البخاري.

أحلاهما مرّ

☚ قال حُميد الطويل رحمه الله لسليمان بنِ عليّ:

(لئن كنتَ إذا عصيتَ الله خالياً ظننتَ أنّه يَراك؛ لقد اجترأتَ على أمرٍ عظيم، ولئن كنتَ تظنّ أنّه لا يراكَ؛ فقد كفرتَ) [هبّي يا ريح الإيمان].

☚ قال بلالُ بن سعد رحمه الله:

(لا تنظر إلى صِغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عَصيتَ) [الداء والدواء].

☚ وقال ابن القيِّم رحمه الله:

(إنّ الذَّنبَ كلّما صَغُرَ في عين العَبدِ؛ عَظُمَ عند الله) [الداء والدواء].

المعاصي لها حدٌّ

قال الحسن البصري رحمه الله: (إنّ بين العبد وبين الله حدّاً من المعاصي مَعلوماً؛ إذا بَلَغَهُ العبدُ طَبَعَ اللهُ على قلبِه، فلم يُوفّقه بَعْدَها لخير) [الإحياء].

---

[1]) أي: دَفَعَ الذُّباب عن أنفهُ بيده.

العافية

السَّعادة ليست في مال كثير، ولا منصب رفيع، ولا زوجةٍ حسناء غيداء، وليست العافية -فقط- في جسم قويّ سليم، خال من الأمراض والأسقام، لكن السَّعادة كلُّ السعادة، والعافيةُ كلُّ العافية: أن تكون لربِّك طائعاً مُخبِتاً، وأن تجعل بينك وبين الذّنوب حاجزاً وخندقاً.

سُئل حكيمٌ: ما العافية؟

قال: أنْ يَمرَّ بك اليوم بلا ذنب.

البهائم تلعن العصاة

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ البهائم تَلعن عُصاة بَنى آدم إذا أَشتدت السَّنَةَ وأَمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية) [الداء والدواء].

محبّة وتأديب

من محبّة الله للمؤمن أن يعاجله ببلاء كلَّما وقع في ذنب ليَردّه إلى جادّة الطّريق، قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُؤَدّبُ [الله] عَبدَهُ المؤمن الذي يُحِبّهُ وهو كَرِيمٌ عِندَهُ بِأَدْنَى زَلّةٍ وهَفْوَةٍ، فلا يَزَالُ مُسْتَيْقِظًا حَذِراً، وأَمّا مَن سَقَطَ مِن عَينِهِ وهَانَ عليه؛ فإِنّهُ يُخَلّي بَينَهُ وبَينَ مَعَاصِيهِ، وكُلّمَا أَحْدَثَ ذَنبًا أَحْدَث لَهُ نِعْمَةً.

والمغرُورُ يَظُنّ أنّ ذلكَ مِن كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ!! ولا يَعْلَمُ أنّ ذلك عَينُ الإِهَانَةِ وأنّهُ يُرِيدُ بِهِ العَذَابَ الشّدِيدَ والعُقُوبَةَ التي لا عَاقِبَةَ معها) [الداء والدواء].

الخسران المبين

قال الشيخ صالح عواد المغامسي: (إنَّ الحسرةَ كلّ الحسرة، والمصيبةَ كلّ المصيبة: أنْ يجد الإنسانُ راحتَهُ حين يَعصي ربَّه جلَّ وعلا!

هذا -والعياذُ بالله- هو الخُسران المبين؛ الذي حذَّر اللهُ جلَّ وعلا منه، قال ربُّنا مُذكّراً: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾، وقال ربُّنا متوعّداً: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾.

فسُبْحان من لا تخفى عليه -من عباده- خافية؛ الطَّائعون إذا أَطاعوه، والعُصاة إذا عصوه! لكنَّهُ حِلْمُ الله جلَّ وعلا على عباده.

إن من ازدحمت عليه الشَّهوات، وتكاثرت عليه الرَّغبات؛ **يجب عليه أنْ يواجهها بتذكُّره لعظمة الرَّبِّ تبارك وتعالى، أنْ يتذكر** فضلَ الله جلَّ وعلا عليه، ونعمائه تبارك وتعالى إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

عليه أنْ يتَذَكَّرَ أنَّ كُلَّ لذّةٍ دُوْنَ الجنَّة فانية، وأنَّ كلَّ بلاءٍ دُونَ النَّار عافية.

عليه أنْ يتَذَكَّرَ أنّه ما من أَحدٍ إلا وسَيُوسَّد التَّرابَ، وتُحُلُّ عنه أَربطةُ الكَفن، ويُخَلَّا بينه وبين عمله؛ إنْ خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، ولا يَظلمُ ربّك أحداً.

عليه أنْ يتَذَكَّرَ الموتَ وسكرتَه، والقبرَ ووحشتَه وظلمتَه، والنّفخَ في الصور وفزعتَه، والصّراطَ وزلّتَه.

وأعظم من ذلك كلّه؛ لو قُدِّرَ له أنْ يُقبض على لذّته المحرّمة؛ بأيِّ وجه يَلقى الله بعد ذلك؟!

عليه أنْ يُؤدبَ نَفْسَهُ بأنْ يَتَذَكَّرَ أنه يجب عليه أنْ يصبر في ترك ما يَفنى؛ ليفوز غداً بما يَخْلُدْ ويبقى.

عليه أنْ يتَذَكَّرَ ما أَعَدَّهُ اللهُ جلَّ وعلا للصابرين على طاعته، والمنفقين ابتغاء وجه ربهم.

قال ربُّنا -وهو أصدق القائلين-: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾.

هذا صنيعهم؛ فكافأهم أَرحمُ الرَّاحمينَ بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾.

اللهمَّ قِنا شرَّ ذلك اليوم، ولَقِّنا اللهمَّ نَضرةً وسروراً).

احفظ الله يحفظك

كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو مُمتَّع بقوّته وعقله، فوثَبَ يوماً وثبَةً شديدةً، فعُوتِبَ في ذلك؛ فقال:

(هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصِّغر؛ فحفظها اللهُ علينا في الكِبر) [أولئك الأخيار].

القلب قسوته والعلاج

ومضة

قال الإمامُ ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قد أَجمعَ السائرونَ الى الله أنَّ القلوبَ لا تُعطي مُناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مَولاها حتى تكونَ صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة؛ حتّى يَنقلِبَ داؤها فتصير نفس دوائها، ولا يَصحُّ لها ذلك إلا بمخالفة هواها، وهواها مَرضها وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض؛ قتل -أو كاد-.

وكما أنّ من نهى نَفْسَهُ عن الهوى؛ كانت الجَنَّةُ مأواه، كذلك يكون قلبه في هذه الدَّار في جَنَّة عاجلة، لا يُشبه نَعِيم أَهلها نَعِيمٌ البتة؛ بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذى بين نَعيم الدُّنيا والآخرة، وهذا أَمرٌ لا يُصدِّقُ به إلا من باشَرَ قلبه هذا) . [الجواب الكافي].

قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أحذر -يا أخي- أن يَراكَ اللهُ مُشتغلاً بغيره؛ فتَسقط من عينه، ولا تكن غافلاً عنه فإنه ليسَ بغافل عنكَ) [الزهر الفائح].

أنواع القلوب

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال بعضُ السّلف: إنَّ القلوبَ جَوَّالة؛ فمنها ما يجُولُ حوْلَ العَرش، ومنها ما يجُولُ حوْلَ الحُشّ[1]) [الداء والدواء].

---

[1]) مكان قضاء الحاجة.

طهارة القلب

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: (طهارةُ القلب لا تَحصلُ إلا بالكفِّ عن شهوات الدُّنيا، والسّعادةُ لا تَحصلُ إلا بكثرة الذِّكر، والحبُّ لا يَحصلُ إلا بمعرفة الله، ولا تحصلُ معرفة الله إلا بدوام ذِكر الله).

أسباب موت القلب

قال محمَّد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَربَعٌ يُمتن القلبَ: الذَّنب على الذَّنب، وكثرةُ مثافنة النِّساء[1] وحديثهنَّ، ومُلاحَاة الأحمق؛ تقول له ويقول لك، ومُجالسة الموتى. قيل: وما مجالسة الموتى؟

قال: مجالسة كلُّ غَنيّ مُترَف، وسُلطان جائر. [الحلية].

عجباً!!

قال وهب بنُ منبه رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعجباً من النَّاسِ يبكونَ على من ماتَ جَسدهُ، ولا يَبكونَ على من ماتَ قلبُهُ؛ وهو أَشَدُّ؟!) [تنبيه المغترين].

قسوة القلب

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما ضَربَ اللهُ عبداً بعقوبةٍ أَعظم من قسوة القلب) [صفة الصفوة].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أبعدُ القُلوب عن الله: القلبُ القَاسي) [الفوائد].

---

١) مخالطة النساء.

أسباب قسوة القلب

✔ **قال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (المِراءُ في الدِّين يُقَسِّي القلبَ، ويورثُ الضغائنَ) [السير].

✔ **قال سفيانُ الثوريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان يُقال: إيّاكم والبِطنة؛ فإنَّها تُقسِّي القلبَ) [الزهد لابن المبارك].

✔ **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قسوةُ القلب من أربعة أشياء -إذا جاوزت قدر الحاجة-: الأكلُ، والنَّومُ، والكَلامُ، والمخالطةُ) [الفوائد].

✔ **قال أَبو الوفاء بن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا مَن يجدُ في قلبه قسوةً! احذر أنْ تكونَ نقضت عهداً؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾) [ذيل طبقات الحنابلة].

أعراض قسوة القلب

✔ **عَدَّ الفضيلُ بن عياض قسوة القلب من علامات الشَّقاء؛ فقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: (خمسٌ من علامات الشّقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلّة الحياء، والرَّغبة في الدُّنيا، وطول الأمل) [طبقات الأولياء].

✔ **وقال ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا قسا القلبُ؛ قحطت العين) [الفوائد].

قال يحي بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ:
(يا ابن آدم؛ لا يَزالُ دِينُك مُتمزِّقاً؛ ما دام قلبُك بحُبِّ الدُّنيا متعلِّقاً) [صفة الصفوة].

العلاج

من طُرق علاج القلب: كثرةُ ذِكر الموت:

✔ **شكت امرأةٌ إلى عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قساوة قلبها، فقالت:** (أكثري من ذِكْر الموت؛ يرقُّ قلبك) [إيقاظ أولي الهمم العالية].

✔ **قيل للربيع بن خثيم رحمه الله:** لو جالستَنا؟

فقال: لو فارقَ ذِكْرُ الموت قلبي ساعةً؛ فَسَدَ عليَّ. [الحلية].

ومن ذلك: إدامةُ ذِكر الله عَزَّ وجَلَّ:

✔ **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

(إنَّ لهذه القلوب إقبالاً وإدباراً؛ فإذا أقبلت فخذوها بالنَّوافل، وإذا أدبرت فألزِمُوها بالفرائض)

✔ **قال رجلٌ للحسن البصريِّ:** يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوةَ قلبي!

قال: أذِبه بالذِّكر. [روح الأرواح].

✔ **وصفَ ابن القيِّم رحمه الله الداءَ والعلاج فقال:** (صدأُ القلب بأمرين: بالغفلة، والذَّنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار، والذِّكر).

قال ابن القيّم رحمه الله:
(إنَّ في القلب قسوة؛ لا يُذيبها إلا ذِكرُ الله تعالى) [الوابل الصيب].

✔ **وقال أبو الحسين الورّاق رحمه الله:** (حياةُ القلب في ذِكر الحيِّ الذي لا يَموت، والعيشُ بالرَّاحة؛ أنْ تكون حياته معه لا غيره) [نفحاتُ الأُنس].

ومن وسَائل العلاج: مجالسةُ الصَّالحين:

✔ **قال ابنُ الجوزيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (رأيتُ الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكادُ يَكفي في صلاح القلب؛ إلا أنْ يُمزجَ بالرَّقائق والنَّظر في سِير السَّلف الصَّالحين... **وقد كان جماعةٌ من السَّلف يَقصدونَ العَبدَ الصَّالح للنظر إلى سَمْتِهِ وهَدْيِهِ**) [صيد الخاطر].

✔ **قال جعفر بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كُنتُ إذا وجدتُ من قلبي قسوةً؛ غدوتُ فنظرتُ إلى وجهِ محمّد بن واسع، كان كأنه ثَكلى![1]) [السير].

ومنها تركُ الشِبع:

قال أبو سُليمان الدَّارانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ النَّفْسَ إذا جاعت وعطِشت؛ صفا القلبُ ورَقَّ، وإذا شبِعت ورويت؛ عمي القلبُ) [جامع العلوم والحكم].

ومنها الرأفة:

يقول الحارث المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «آدابُ النفوس»: (صَلَاح القلبِ الرَّأفة والرِّقة، وفَسَاد الْقلب الْقَسْوَة والغلظة).

وآخرُ أنواع العِلاج: حفظُ اللسان:

✔ **كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقسم ويقول:** (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيءٌ أحوجُ إلى طول سجن من لسان).

✔ **قال أحمد بن عاصم الأنطاكي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إذا أردتَ صلاحَ قلبِكَ؛ فاستعن عليه بحفظ اللسان) [أسرار خزانة المكتبة التراثية].

---

[1]) الثكلى من فقدت ولدَها.

حواجز أمامَ القلب

✔ **قال علي** رضي الله عنه : (من كَرُمَتْ عليه نفسه هانت عليه شهوته).

✔ **قال ابن القيِّم** رحمه الله: (القلوب المتعلِّقة بالشَّهوات؛ محجوبةٌ عن الله بقدر تعلّقها بها) [الفوائد].

✔ **وقال**: (القلبُ المعلَّق بالشهوات؛ لا يَصلح له زهدٌ ولا ورع) [الفوائد].

القلب أهان وأهان

✔ **قال ابن القيِّم** رحمه الله: (**في القلب شعثٌ لا يَلمُّه** إلا الإقبال على الله، وعليه وحشةٌ لا يُزيلها إلا الأُنس به في خلوته، وفيه حُزنٌ لا يُذهبه إلا السّرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلقٌ لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه.

وفيه نيرانُ حسرات لا يُطفئها إلا الرِّضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصّبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلبٌ شديدٌ لا يقف دون أنْ يكونَ هو وحدَهُ مطلوبَهُ.

وفيه فاقةٌ لا يسدّها إلا محبّته، ودوام ذِكْرِهِ، وصدق الإخلاص له، ولو أُعطي الدُّنيا وما فيها؛ لم تُسدَّ تلك الفاقة أبداً) [مدارج السالكين].

قال ابن القيِّم رحمه الله:

(خُلقت النَّار؛ لإذابة القلوب القاسية) [الفوائد].

الحسنة والسيئة

✓ **قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :**

(إنَّ للحَسَنة ضياءً في الوجهِ، ونوراً في القلب، وسِعةً في الرِّزق، وقوّةً في البَدن، ومحبّةً في قلوب الخلْق.

وإنَّ للسيئة سواداً في الوجه، وظُلمةً في القلب، ووَهناً في البَدن، ونقصاً في الرِّزق، وبُغضاً في قلوب الخَلق) [الداء والدواء].

✓ **وقال سليمان التيمي رحمه الله:**

(الحسنةُ نورٌ في القلب، وقوّةٌ في العمل، والسّيئةُ ظلمةٌ في القلب، وضَعفٌ في العمل) [الحلية].

الصَّلاة

عمودُ الدِّين، وركنُ الإسلام العظيم، تهاونَ النَّاس فيها بشكل عجيب! وتساهلوا بحقِّها، واستخفّوا بمنزلتها؛ حتّى من يُصلِّيها ربما لا يَحرصُ على أدائها في الجماعة، أو لا يُؤدِّيها في وقتها المحدد، واللهُ المستعان!

خطورة ترك الصَّلاة

❁ **قال عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كان أصحابُ رسول الله ﷺ لا يَرونَ شيئاً من الأعمال تركُه كُفر؛ غير الصَّلاة) [رواه الترمذي].

❁ **قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ:** (من أرادَ أن يَعرفَ مكانتَهُ عند الله؛ فلينظر إلى مكانة الصلاة عنده) [الطريق إلى الجنة].

❁ **قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(لا يَختلف المسلمونَ أنّ تركَ الصَّلاة المفروضَةِ –عمداً– من أَعظَم الذُّنوب وأَكبر الكبائر، وأنَّ إثمَهُ عِندَ الله أَعظمُ من إثم قتل النّفْس وأخذ الأموال، ومن إثم الزِّنا والسَّرقة وشُرب الخمر، وأنَّه مُتعرِّض لعقوبةِ الله وسخطِه وخِزيِهِ في الدُّنيا والآخرة) [الصَّلاة وحكم تاركها].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ:
(يا ابنَ آدم! إذا هانت عليك صلاتُك؛ فما الذي يَعزُّ عليك؟!) [التبصرة].

الوقوف بين يدي الله

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصَّلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحقِّ الموقف الأوّل؛ هوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقَّه؛ شُدّد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾) [الفوائد].

قال بكر المزنيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا أردتَ أنْ تنفعكَ صلاتُك؛ فقل: لعَليَّ لا أُصلي غَيرها) [جامع العلوم والحكم].

صلاة الجماعة وتكبيرةُ الإحرام

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لا تكن مِثل عبدَ السُّوء؛ لا يأتي حتّى يُدعى، ائتِ الصَّلاة قَبل النِّداء) [التبصرة].

قال إبراهيم بن يزيد التَّيميّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا رأيتَ الرَّجل يتهاون في التكبيرة الأولى؛ فاغسل يدَكَ منه) [السير].

ذكر الإمامُ البيهقيُّ في «شُعب الإيمان» عن وكيع بن الجراح أنه قال: (من لم يدرك التكبيرة الأولى؛ فلا ترجُ خيره).

قال محمد بن سماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: (مكثتُ أربعينَ سَنَة لم تَفُتْني التكبيرة الأولى؛ إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمّي؛ ففاتتني صلاة واحدة في جماعة) [تهذيب التهذيب].

✍ **قال أبو حرملة** رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال سعيد بن المسيب: ما فاتتني الصَّلاةُ في الجماعة منذُ أربعين سَنة).

ليس هذا فحسب؛ فقد بلغَ به الأمر أكثر من ذلك، فلم يكن حِرصُه رَحِمَهُ اللَّهُ على إدراك تكبيرة الإحرام؛ بل إنّ هِمّته جعلته يُسابق المؤذنَ ويبادر المسجد قَبل مناداته للصلاة؛ **حيث قال:** (ما أَذَّن المؤذنُ مُنذ ثلاثين سَنَة إلا وأنا في المسجد) [السير].

✍ **قال وكيع** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان الأعمش، قريباً من سبعين سَنَة، لم تفتهُ التكبيرة الأولى) [السير].

✍ **وقد سُئل أحد الصّالحين:** لماذا تذهب للمسجد قَبل الآذان؟!

فأجابَ: الأذنُ لتنبيه الغافلين، وأرجو أن لا أكون منهم.

✍ **قال مِسْعَر بن كِدَام** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لولا أُميّ لما فارقتُ المسجدَ؛ إلا لما لا بُدَّ مِنهُ) [صفة الصفوة].

✍ **قالَ محمّد بنُ المبارك الصُّوريُّ:** (كانَ سَعيد بن عبد العزيز التَّنُوْخِيُّ إذا فَاتَتْهُ صَلاَةُ الجَمَاعَةِ؛ بَكَى) [سير أعلام النبلاء].

ومما يحزُّ في النَّفْسِ، ويجرحُ القلبَ، أنَّ بعضَ طلبةِ العلم –في زماننا– يبحثُ عن أدلة شرعية، وأقوال لأهل العلم؛ ليتهرَّبَ مِن صلاة الجماعة، ويهجرَ عِمارة المساجد؛ بل وينشرها بين الناس!!.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

✍ **قيل:** (إنّ من تَوقِيركَ للصلاة: أنْ تأتي قَبل الإقامة)[صفة الصفوة].

حي على الصَّلاة

✓ **كان محمَّد بن خفيف رَحِمَهُ اللَّهُ به وجع الخاصرة**، فكان إذا أصابَه أقعدَهُ عن الحركة، فكان إذا نودي إلى الصَّلاة؛ يُحمَل على ظهر رجل، فقيل: لو خَفَّفْتَ عن نَفْسِكَ؟!

قال: إذا سمعتُم (**حيَّ على الصَّلاة**) ولم تَروني في الصَّفِّ؛ فاطلبوني في المقبرة!!

✓ **وكان الربيعُ بن خُثيم يُقادُ إلى الصَّلاة وبه الفالج [شلل]**، فقيل له: قد رُخِّصَ لك!

قال: إنيّ أسمعُ (**حيَّ على الصَّلاة**)؛ فإنْ استطعتم أنْ تأتوها ولو حَبْواً [السير].

هكذا كانت صلاتهم

✓ **قال عبد الله بن مسلم بن يَسار رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كانَ أَبي إذا صلّى كأنّهُ ودٌّ، لا يَميلُ لا هكذا ولا هكذا) [السير].

✓ **وكان عطاء بنُ أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ** -بعدما كَبُر وضعفَ- يقوم إلى الصَّلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم، ما يَزولُ منه شيء ولا يَتحَرَّك) [سير أعلام النبلاء].

✓ **قال ميمون بن حيّان رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(ما رأيتُ مسلمَ بنَ يَسار مُلتَفتاً في صلاتِه قطُّ؛ خفيفة ولا طويلة) [الحلية].

سَمِعَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رجُلًا رافِعًا صَوتَهُ في المسْجِدِ، فقالَ: أَتَدْرِي أينَ أَنتَ؟ [مصنف ابن أبي شيبة].

✓ **قالَ أبو عبد الرَّحمن الأسديُّ:**

قلتُ لسعيد بنِ عَبد العَزيز التَّنُوْخِيُّ: مَا هذا البُكَاءُ الذي يَعرضُ لكَ في الصَّلاةِ؟

فقالَ: يا ابنَ أخِي، ومَا سُؤالُك عن ذلكَ؟

قلتُ: لعلَّ اللهَ أن يَنفَعَني بهِ.

فقالَ: ما قُمتُ إلى صَلاةٍ إلّا مُثِّلتْ لي جَهَنَّمُ. [سير أعلام النبلاء].

✓ **قالت امرأةُ مسروق بن الأجدع رَحِمَهُ اللهُ:** (كان مسروق يُصلي حتّى تورَّمَ قدماهُ، فرُبما جَلستُ أَبكي مما أَراه يَصنع بنَفْسِهِ).

قال سعيد بن عامر الضبعي:

(كان سليمان التَّيمي رَحِمَهُ اللهُ يُسبِّحُ الله في كلِّ سجدة سَبعين تسبيحة)

[تذكرة الحفاظ].

قيام الليل

الليلُ وما أدراك ما الليل؟!

• **قال أبو سليمان الدَّاراني** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أهلُ الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أَحببتُ البَقاءَ في الدُّنيا) [إحياء علوم الدِّين].

• **وقال ابنُ المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما بَقيَ من لذَّاتِ الدُّنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصَّلاة في الجماعة) [إحياء علوم الدِّين].

• **قال علي بن البَكار** رَحِمَهُ اللَّهُ: (مُنذُ أربعين سَنة ما أَحزنني شيءٌ سوى طُلوع الفَجر) [إحياء علوم الدِّين].

انظر إلى سبب حُزنهم وحُرقة قلوبهم، وقارن حالَنا معهم؛ فإنّك ستجدُ العَجَب!

• **وقال الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أدركتُ أقواماً يَستحيونَ من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعَة! إنّما هو على الجَنب، فإذا تحرَّكَ قال: ليس هذا لكِ!! قُومي خُذي حَظَّكِ من الآخرة) [صفة الصفوة].

ركعات الأسحار

• **قال جعفر الخلدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيتُ الجنيدَ في النّوم؛ فقلتُ له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟

فقال: (طاحت تلك الإشاراتُ، وغابت تلك العِباراتُ، وفنيت تلك العُلومُ، ونفدت تلك الرّسومُ، **وما نفعنا إلا رُكيعات كُنَّا نركعُها في الأسحار**) [صفة الصفوة].

نور على نور

• **قيل للحسن البَصري رَحِمَهُ اللَّهُ:** ما بالُ المتهجدين بالليل أحسن النَّاس وجُوهاً؟

قال: إنهم خَلَوا بالرَّحمن تبارك وتعالى؛ فألبَسَهمُ اللهُ ﷻ نوراً من نوره. [المجالسة].

• **وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(إنَّ الرَّجلَ ليُصلي بالليل فيجعل اللهُ في وجهه نوراً يُحبّه عليه كلّ مسلم، فيَرَاهُ من لم يره قطّ فيقول: إنّي لأحبُّ هذا الرَّجل).

القبر

كانت معاذة بنت عبد الله رحمها الله تُحيي الليل عبادةً وتقول:

(عجبتُ لعين تنامُ وقد علِمتْ طولَ الرُّقاد في ظُلَم القُبور!) [السير].

يا الله..!!

قال داود بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

حبسَ الأسدُ النَّاسَ ليلةً في طريق الحجِّ؛ ففزعوا واضطربوا، فلمّا كان وقت السَّحَر، ذهبَ عنهم، فنزلَ النَّاس يميناً وشمالاً، ثم ناموا، وقام طاوس يُصلّي! **فقال ابنُه:** ألا تنام؛ فقد تعبتَ الليلة؟!

فقال طاوس: ومَن ينامُ السَّحَر؟! [صفة الصفوة/ بتصرف].

الفُضيلُ بن عِياض

قال إسحاق بن إبراهيم الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما رأيتُ أحداً أخوف على نفْسِهِ ولا أرجى للنَّاس من الفُضيل، كانت قراءتُه حَزينةً شهيةً بَطيئةً مترسِّلة؛ كأنَّه يخاطبُ إنساناً، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذِكرُ الجنَّة يردِّد فيها وسأل.

وكانت صلاتُه بالليل أكثر ذلك قاعداً، يُلقَى له الحصيرُ في مسجده؛ فيُصلي في أوَّل الليل ساعة، ثم تغلبه عينيه؛ فيُلقِي نفْسَهُ على الحصير؛ فينام قليلاً، ثم يَقوم، فإذا غلبهُ النَّومُ؛ نام، ثم يقوم هكذا حتّى يُصبح، وكان دأبه إذا نَعِسَ أنْ يَنام. ويُقال: أَشدُّ العبادة ما كان هكذا) [سير أعلام النبلاء].

طُوبى لمن سَهرت بالليل عَيناهُ ... وبات في قلقٍ مِن حُبِّ مَولاهُ

وقامَ يَرعى نُجوم الليل مُنفرداً ... شَوقاً إليه وعينُ الله ترعاهُ

وقال إبراهيم بن الأشعث رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدرِهِ أعظم من **الفضيل بن عياض**؛ كان إذا ذَكَر الله، أو ذُكِر عنده أو سمعَ القرآن؛ ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناهُ، وبكى حتّى يرحمه من بحضرته، وكان دائمَ الحزن شديدَ الفكرة.

ما رأيتُ رجلاً يُريدُ اللهَ بعلمه وعمله، وأَخذِهِ وعطائِهِ، ومنعِهِ وبذْلِهِ، وبُغضِهِ وحُبِّهِ، وخِصالِهِ كلّها غيره) [الحلية].

قال عثمان بن زائدة: كَتَبَ إليَّ سفيانُ الثوريّ: (إذا أردت أن يَصحَّ جِسمُك، ويَقلَّ نومُكَ؛ فأقلل مِن الأكل) [حلية الأولياء].

الصيام ورمضان

أرسلَ الإمامُ الذهبيُّ تحذيراً شديداً للمتهاونين في الصيام فقال:

(وعند المؤمنين مُقرَّرٌ أنَّ من تَركَ صومَ رمضان بلا مَرضٍ ولا عَرَضٍ؛ أنَّه شرٌّ من المكَّاس[1] والزَّاني، ومُدمن الخمر؛ بل يَشكُّون في إسلامه، ويَظنّونَ به الزَّندقَةَ والانحلال) [فيض القدير].

حبُّ الصيام

✔ **كانت نفيسة بنتُ الحسن بن زيد العلوية الحَسَنية صائمة؛** فحضرتها الوفاةُ؛ فألَحَّ عليها من كان عندها أنْ تُفطرَ. **فقالت:** واعَجباه! أنا مُنذُ ثلاثينَ سَنة أسألُ الله تعالى أنْ أَلقاهُ صائمة؛ أَأُفْطِر الآن؟! هذا لا يَكون! وخرجت من الدُّنيا وقد انتهت مِن قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾.

✔ **أمَّا ابنُ أبي مريم الغَسَّاني** رَحِمَهُ اللَّهُ فإنّه لم يُفطر؛ مع أنّه كان في النَزَع الأخير، وظلَّ صائماً، فقال له من حَولَهُ: لو جَرَعتَ جُرعة ماء؟

فقال بيده: لا، ثمَّ جاءَ الليلُ؛ فقال: أَذّنَ؟ قالوا: نعم، فقَطروا في فَمهِ قَطرة ماء، ثم مات. [صفة الصفوة].

✔ **ولمّا احتضرَ عامر بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ **بكى!** فقيل: ما يُبكيك؟!

قال: ما أَبكي جَزَعاً من الموت، ولا حِرصاً على الدُّنيا، ولكن أَبكي على ظمأ الهواجِر، وقيام الليل. [السير].

---

[1] الذي يأخذ الأموال بغير حقّ.

✔ **حضرت عبدَ الرَّحمن بن الأسود رَحِمَهُ اللَّهُ الوفاةُ؛ فبكى! فقيل له؟** [أي: سُئل عن سبب بكائه].

فقال: أَسَفاً على الصَّلاة والصّوم!

ولم يَزل يَتلو [أي: القرآن] حتّى مات. [السير].

✔ **قال معتمر: قال أَبي:** (إني لأحسَبُ أنّ أبا عثمان النّهدي -وكان لا يُصيبُ دُنياً- كان ليله قائماً، ونهاره صائماً، وإنْ كان ليُصلّي حتَّى يُغشَى عليه) [السير].

✔ **وقال ابن عدي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (صامَ داود بن أبي هِند أَربعين سَنة لا يَعلَمُ بِهِ أَهله!! وكان خرَّازاً[١]، يحملُ معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطَّريق، ويَرجعُ عِشاءً؛ فيُفطر معهم!) [التذكرة الحمدونية].

✔ **قيل للأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ:** إنّك كبيرٌ والصومُ يُضعِفُك؟!

قال: إنّي أُعِدّهُ لسَفرٍ طويل. [السير].

سَفَري بَعيدٌ وَزادي لن يُبَلِّغَني ... وقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يَطلُبُني

ولي بقايا ذُنوبٍ لستُ أَعْلَمُها ... اللهُ يَعْلَمُها في السِّرِ والعَلَنِ

ما أَحْلَمَ اللهَ عَنِّي حَيْثُ أَمْهَلَني ... وقد تَمادَيْتُ في ذَنْبي ويَسْتُرُني

✔ **وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي قبل موته:** (كيف لا أرجو ربِّي، وقد صُمْتُ له ثمانين عاماً) [أطايب الجنى].

---

١) الخراز: الذي يُخيط الجلود.

حكمة

✓ **قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ:** (الجوعُ طعامٌ به يقويّ اللهُ أبدان الصدِّيقين) [عيوب النفس].

✓ **وسئل بعض السَّلف: لم شُرع الصيامُ؟!**

فقال: (ليذوق الغنيُّ طعمَ الجوع؛ فلا ينسى الجائع) [لطائف المعارف].

الزاوية

⊙ **قال داودُ بنُ الحصين: سمعتُ عبد الرَّحمن بن هرمز الأعرج يقول:**

(ما أدركتُ النَّاسَ إلا وهم يَلعنونَ الكَفَرَةَ في رمضان، وكان القارئُ يَقرأُ سورة البَقرة في ثماني ركعات، فإذا قامَ بها في اثنتي عشرةَ ركعة؛ رأَى النَّاسُ أنَّه قد خَفَّفَ) [السير].

الاعتكاف

قال محمد بن شهاب الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(عجباً للمسلمينَ! تَركوا الاعتكَافَ، مع أنّ النَّبيَّ ﷺ ما تَرَكَهُ مُنذُ قَدِمَ المدينة؛ حتَّى قَبَضهُ الله ﷻ) [فتح الباري].

وقال عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللهُ: (مثلُ المعتكفِ كرَجل له حاجة إلى عظيم؛ فجلسَ على بابه، ويقول: لا أَبرحُ حتَّى تقضي حَاجَتي، وكذلك المعتكِفُ يجلسُ في بيت الله، ويقول: لا أَبرحُ حتى يَغفِرَ لي).

ليلةُ القدْر

● **أَرشَدَ سُفيانُ الثوريُّ الملتَمسينَ ليلة القْدر الرَّاجين لخيرها إلى أفضل الوسائل لاغتنامها؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(الدُّعاءُ تلك الليلة أَحبُّ إليَّ من الصَّلاة) [لطائف المعارف].

● **وقد كان السَّلف يخصّون ليلة القدر بمزيد اهتمام كما جاء في كتاب «لطائف المعارف».**

♦ **كان لتميم الدَّاريّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

♦ **وروي عن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيَّبَ، ولبس حُلَّة وإزاراً ورداءً، فإذا أَصبح طواهما، فلم يَلبسهما إلا مثلها من قَابل.

♦ **وكان ثابت البُناني وحُميد الطويل** يَلبسان أَحسنَ الثّياب، ويَتطيَّبان، ويُطيِّبونَ المسجدَ بالنضوح والدَّخنة في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر.

رمضان و القرآن

أنقلُ إليك هذه الصّور المشرقة لتلك الثُّلة الطّيبة من سلفنا الصَّالح من كتاب «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكيف كان حالهم مع القرآن في شهر رمضان!

● **فقد كان الزهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دَخلَ رمضانُ يقول:** (إنما هو تلاوةُ القرآن، وإطعامُ الطَّعام).

● **وكان سُفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ** إذا دَخلَ رمضانُ؛ تَركَ جميعَ العبادة، وأقبلَ على قراءة القرآن.

● **وهذا إمامُ دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ؛** كان إذا دخل رمضان يَفرُّ من قراءة الحديث ومجالس أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحَف.

● **أمّا قتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ** فكان يَختم القرآنَ في كلِّ سَبع ليالٍ دائماً، وفي رمضان في كلِّ ثلاث، وفي العَشر الأخير منه في كلِّ ليلة، وكان يدرس القرآن في شهر رمضان.

● **وكان إبراهيمُ النَّخعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ** يَختم القرآنَ في رمضان في كلِّ ثلاث ليال، وفي العَشر الأواخر في كلِّ ليلتين.

● **وكان الأسودُ رَحِمَهُ اللَّهُ** يقرأُ القرآنَ في ليلتين في جميع الشّهر.

رحمَ اللهُ الجميع، وأعلى في الجنّة منزلتهم.

الحـجّ والعمرة

❁ **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: (لو يَعلم المقيمون ما للحاجِّ عليهم من الحقِّ؛ لأتوهم حين يَقدُمونَ؛ حتى يُقَبِّلوا رواحِلَهم؛ لأنّهم وفدُ الله تعالى من جميع النّاس) [لطائف المعارف].

❁ **حجَّ عليُّ بن الموفق** رحمه الله **ستينَ حجّة على قدميه.**

قال: فلما تمّ لي ستون حجّة؛ خرجت من الطّواف، وجلستُ في الحِجر بحذاء الميزاب، وجعلتُ أَتفكَّرُ: أيّ شيء حالي عند الله، وكثرة ترددي إلى ذلك المكان، ولا أدري هل قُبِلَ مِني حجّي أم رُدَّ؟! ثم نِمتُ؛ فرأيتُ في منامي قائلاً يقولُ: يا عليّ؛ هل تدعو إلى بيتِكَ إلا من تُحبّ؟!

قال: فاستيقظتُ وقد سُرّيَ عنّي. [تاريخ بغداد/ بتصرّف يسير].

❁ **قال سعيد بن جبير** رحمه الله: (ما أتى هذا البيتَ طالبُ حاجة لدِين أو دُنيا؛ إلا رَجَعَ بحاجَته) [مصنف ابن أبي شيبة].

❁ **قال ابن قدامة المقدسي** رحمه الله:

(اعلم أنّه لا وصولَ إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتجرُّدِ والانفرادِ لخدمته، وقد كان الرَّهُبان يَنفردون في الجبال طَلباً للأُنس بالله، فجُعلَ الحجُّ رهبانيَّةً لهذه الأُمَّة) [مختصر منهاج القاصدين].

❁ **قال إبراهيمُ النَّخعيُّ** رحمه الله: (كان يُعجِبهم إذا قَدِموا مكَّة، أنْ لا يَخرُجوا منها؛ حتّى يَختموا القرآنَ) [أخبار مكة للأزرقي].

حزم

⊙ **قال سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ: (مات جارٌ لي مُوسرٌ[١] لم يحجّ؛ فلم أُصلِّ عليه) [الكبائر].

الطَّواف

✍ **قال الشريف حاتم بن عارف العوني:** (تطوفُ قلوبهم بأجسادِهم، لا أجسادهم بقلوبهم... تراهُ يَطأُ أرضَ المطاف، وهو يَشْعُرُ أنَّه يَطأُ النّجوم) [عطاءات البلد الحرام].

✍ **(الطَّوافُ؛** وما أَدراكَ ما الطَّواف؟ أَنيسُ الحجّاج والمعتمرين، ومُتعة الطائفين والوافدين، **من ذاقَ عَرَفَ، وليس من طاف كمن وقف!**

هناك تسكب العَبَرات، وترتفعُ إلى الله الدَّعوات، سكينة وخشوع، ذلٌّ للمولى وخضوع، أَنسَاهمُ الطوافُ الأهلَ والأحباب، وشغلهم عن الخِلان والأصحاب، هَمهمُ الأَكبر: أَنْ يَرضى الله عنهم، وشُغلهم الشَّاغل: الغفران يوم الحساب) [حنين المشتاق إلى بلاد الأشواق].

✍ **قال عبد المجيد بن أبي رواد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يَطوفونَ بالبيت خاشعينَ ذَاكِرينَ؛ كأنَّ على رؤوسَهم الطَّيرُ وقَعَ، يَستبُينُ لمن رآهم أنّهم في نُسكٍ وعبادةٍ) [مثير الغرام السّاكن].

✍ **وكان أُميّةُ الشاميّ** رَحِمَهُ اللَّهُ يَدخل الطَّواف؛ فيأخذُ في البكاء والنَّحيبِ، وربّما سقَطَ مَغشيّاً عليه. [صفة الصفوة].

---

١) كثير المال.

النساء والحجّ

عن منبوذ بن أبي سليمان عن أُمّه: أنها كانت عند عائشة، فدخلت عليها مولاةٌ لها، فقالت لها: يا أمَّ المؤمنين؛ طفتُ بالبيت سَبْعَاً، واستلَمتُ الرُّكن مَرَّتين -أو ثلاثاً-.

فقالت لها عائشةُ: لا آجَرَكِ الله! لا آجَرَكِ الله! تُدافعينَ الرِّجالَ؟! ألا كبّرتِ ومَررتِ؟! [سُنن البيهقي].

ماء زمزم

● قال سويد بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأيتُ ابن المبارك بمكة أتى زمزمَ، فاستقى شربة، ثم استقبلَ القِبلة فقال:

اللهمَّ ابنُ أبي الموال حَدَّثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر عن النّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «ماءُ زمزمَ لما شُرِبَ له» وهذا أَشربُه لعطش القيامة، ثم شربه. [السير].

ابن خزيمة

● قيل لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: من أين أُوتيت العلمَ؟

فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»، وإنّي لما شَربتُ ماءَ زمزم؛ سألتُ اللهَ عِلماً نافِعاً. [طبقات الشافعية الكبرى].

ابنُ الجَزَري

● **قال الحافظ السَّخاويُّ في ترجمة ابن الجـزَري الإمام العالم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كان أبوهُ تاجراً، ومكَثَ أربعينَ سَنةً لم يُرزق ولداً، فحجَّ وشَربَ ماءَ زمزم بنيّة أنْ يَرزُقهُ الله ولداً عالماً؛ فوُلِدَ له مُحمّد الجزري).

زمزم شفاء

● **قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(وقد مَرَّ بي وقتٌ بمكّةَ سَقِمتُ فيه، وفقدتُ الطبيبَ والدّواءَ؛ فكنتُ آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرأ عليها الفاتحة مراراً، ثم أشربه؛ فوجدتُ بذلك البُرءَ التّامَّ، ثم صِرت أعتمدُ ذلك عند كثير من الأوجاع؛ فأنتفعُ بها غايةَ الانتفاع) [زاد المعاد].

● **وقال في «زاد المعاد»:**

(وقد جَرَّبتُ أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أُموراً عجيبة، واستشفيتُ به من عدَّة أمراض؛ فبرِأتُ بإذن الله).

● **وشربَ أحمد بن عبد الله الشريفي رَحِمَهُ اللَّهُ** زمزمَ بنيّة الشِّفاء من العمى؛ فشُفيَ. [مُثير الحنين إلى البلد الأمين].

الجهاد

حُبُّ الجهاد

❁ قال خالدُ بنُ الوليد رضي الله عنه: (ما من ليلة يُهدى إليَّ فيها عَروسٌ أنا لها مُحِبٌّ، وأُبَشَّرُ فيها بغُلام؛ أَحبُّ إليَّ من ليلةٍ شَديدةِ البَرْد كثيرةِ الجليد في سَريّة، أُصَبِّحُ بهمُ العَدو) [سير أعلام النبلاء].

فلا نامت أعين الجبناء

❁ قال أَبو الزِّناد: لما احتضرَ خالد بن الوليد رضي الله عنه بكى، وقال:

(لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جَسدي شبرٌ إلا وفيه ضَربةٌ بسيف أَو رميةٌ بسهم؛ وها أَنا أَموتُ على فراشي حَتْفَ أَنفي كما يَموتُ العيرُ! فلا نامت أَعْيُنُ الجبناء) [سير أعلام النبلاء].

طريق الأنبياء

❁ قال إسحاق بن عبد الله رحمه الله: (أَقربُ النَّاس من درَجة النُّبوة: أهلُ العلم، وأهلُ الجهاد.

فأَمَّا أهلُ العلم؛ فدلّوا الناسَ على ما جاءت بِهِ الرُّسل، وأَمَّا أهلُ الجهاد؛ فجاهدوا على ما جاءت به الرُّسل) [الفقيه والمتفقه].

السَّهمُ الذي لا يُرَدُّ

❁ سُئلَ موسى بن نصير -الأمير الكبير فاتح الأندلس- رحمه الله:

ما كنتَ تَفزعُ إليه عند الحرب؟

قال: الدُّعاءُ والصَّبرُ. [سير أعلام النبلاء].

الطريق المختصر.. قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّ لكلِّ طريق مختصراً، ومختصرُ طريق الجنَّة: الجهاد) [الحلية].

مهنّئات أم مُعَزِيات

لما استشهد صِلةُ بن أَشيم زوج مُعاذة العدويّة وابنُها في بعض الحروب، اجتمع النِّساءُ عندها، فقالت: (مرحباً بكنَّ إنْ كُنتنَّ جئتنَّ للهناء، وإنْ كُنتنَّ جِئتنَّ لغير ذلك؛ فارجعنَ.

وكانت تقولُ: والله ما أُحبُّ البَقاء؛ إلا لأتقرَّبَ إلى ربّي بالوسائل؛ لعلَّه يجمع بيني وبين أَبي الشعثاء وابنهِ في الجَنَّة) [السير].

❁ **قال عبد الله عزام رَحِمَهُ اللَّهُ:** (هؤلاء الشُّهداء؛ جماجمهم صرح العِزّة، أجسادهم بُنيان الكرامة، دماؤهم ماءُ الحياة لهذا الدِّين وإلى يوم الدِّين).

همَّة عالية

◈ **قال يزيد بن الأسود رَحِمَهُ اللَّهُ:** قلتُ لقومي: اكـتبوني في الغزو! قالوا: لقد كبرتَ! قال: سبحان الله! اكتبوني؛ فأين سوادي في المسلمين [أي: تكثير عددهم]؟!

قالوا: أما إذ فعلتَ، فأفطر، وتقوّ على العدو -وكان صائماً-.

قال: ما كنتُ أراني أبقى حتى أُعاتبَ في نفسي، والله! لا أُشبعها من الطعام، ولا أوطئها من منام حتى تَلْحَقَ بالله. [السير].

◈ **قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** خرجَ سعيدُ بن المسيب إلى الغزو -وقد ذهبت إحدى عينيه- فقيل له: إنّك عليلٌ! فقالَ: استَنْفَرَ اللهُ الخفيفَ والثقيلَ؛ فإنْ لم يمكنني الحرب؛ كثَّرتُ لكم السّواد، وحفظتُ المتاع. [تفسير البغوي].

حسرة

❁ **قال أحمد بن إبراهيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: نَظرَ يونس بنُ عُبيد إلى قدَميه عند موته؛ فبَكى، فقيل له: ما يُبكيك أبا عبد الله؟

قال: قدماي لم تَغْبرا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. [الحلية].

صفحات مُشرقة

✓ **ذكر البلاذري أن البوارج الهندية – في زمن الحجاج-** استولت على سفينةٍ كانت تحملُ نساء مسلمات، وقامَ القراصنةُ الهنودُ بخطفهنَّ.

فأرسلَ الحجاجُ –وكان أميراً على العراق- إلى داهر ملك الهند والسِّند يطالبه بإلقاء القبض على القَراصنة، وتحرير النِّسوة .

فأجابَه داهرٌ: إنّ يدي ليست فوق القراصنة.

فغضب الحجاجُ غضباً عظيماً، وقال: ليست فوق القراصنة!!!

ثم جهّز أَربعين ألف مقاتل، وأسندَ قيادتهم إلى ابن عمِّه محمّد بن القاسم الثقفي –ابن السّبعة عشر ربيعاً- وسارَ بالجيش، وفتحَ الهندَ والسِّند، وقُتِلَ داهر، وأُلقيَ القبضُ على القَراصنة، وحُرِّرت النِّسوة.

[الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، وقصة الأندلس]

✓ **بعثَ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **حبيبَ بنَ مَسلمة الفِهري،** قائداً علي جيش من المسلمين لتأديب الروم، وكانت زوجتُهُ معهُ، وقَبلَ أن تبدأ المعركة، قالت له زوجتُهُ: أين ألقاكَ إذا حَميَ الوطيسُ وماجت الصفوفُ؟

قال: في خيمةِ قائدِ الروم، أو في الجنة. [صلاح البيوت].

القرآن الكريم

هذا القرآن

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طَهُرتْ قلوبُنا؛ لما شَبِعت من كلام الله) [إغاثة اللهفان].

قال أبو الجوزاء رحمه الله: (نقلُ الحجارة أَهون على المنافق من قراءة القرآن) [مصنف ابن أبي شيبة].

قال سفيان الثوري رحمه الله: (سمعنا أن قراءة القرآن أفضلُ من الذِّكر) [التذكار].

قال محمَّد بن واسع رحمه الله: (القرآنُ بُستانُ العَارفينَ؛ فأينما حَلّوا مِنهُ حَلّوا في نُزهة) [الحلية].

قال ابن عثيمين: (ومن أكبر الأسباب لاستقامة القلب كثرةُ قراءةِ القُرآن)

[فتاوى نور على الدرب].

هكذا كنّا

ذكر ابن أبي شيبة رحمه الله في «مصنفه»: أنَّ أبا صالح قال: لما قَدِمَ أَهلُ اليمن في زمان أَبي بكر رضي الله عنه فسمعوا القرآنَ؛ جعلوا يَبكون.

فقال أبو بكر: هكذا كُنَّا، ثمَّ قَست القلوب!

ابحث عن قلبك

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اطلب قلبَك في ثلاثةِ مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذِّكر، وفي أوقات الخَلوة، فإنْ لم تجده في هذه المواطن؛ فاسأل اللهَ أنْ يَمُنَّ عليك بقلب؛ فإنَّه لا قَلبَ لك!) [الفوائد].

جنّةُ الأتقياء

قال خبّاب بن الأرت رضي الله عنه: (تَقرَّب إلى الله ما استطعتَ، واعلم أنّك لن تَتَقَرَّبَ إليه بشيء أَحبَّ إليه من كلامه) [تزكية النفوس].

وقال محمّد بن كعب القُرظي رحمه الله: (من قرأ القرآنَ مُتِّع بعقلِه؛ وإنْ بَلغَ مِئتي سَنَة) [المورد العذب المعين].

قال مالك بن دينار رحمه الله: (إنَّ الصدِّيقينَ إذا قُرئ عليهمُ القرآن طربَت قلوبُهم إلى الآخرة) [السير].

علامة الحبّ

قال سهلُ بن عبد الله رحمه الله: (علامةُ حُبِّ الله: حُبّ القرآن، وعلامةُ حُبِّ القرآن: حُبّ النّبيِّ ﷺ، وعلامةُ حُبِّ النّبيِّ ﷺ: حُبّ السُّنّة، وعلامةُ حُبِّ السُّنّة: حُبّ الآخرة) [اللُباب في علوم الكتاب].

صفاتُ أهل القرآن

⊙ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن أنْ يُعرَف بليله إذا النَّاسُ نائمون، وبنهاره إذا النَّاسُ مُفطِرون، وبحُزنه إذا النَّاسُ يَفرحون، وببكائه إذا النَّاسُ يَضحكون، وبصَمتِه إذا النَّاسُ يَخلِطون، وبخشُوعِه إذا النَّاسُ يَختالون.

وينبغي لحامل القرآن أنْ يكون باكياً محزوناً حكيماً سَكيناً، ولا يَنبغي لحامل القرآن أنْ يَكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخَّاباً، ولا صيَّاحاً، ولا حديداً) [الفوائد].

⊙ **وقال رجل لأبي جعفر القاري رَحِمَهُ اللَّهُ:** هنيئاً لك ما آتاك من القرآن!

قال: ذاك إذا أَحلَلتُ حلالَهُ، وحرَّمتُ حرامَهُ، وعمِلتُ بما فيه. [السير].

⊙ **قال الفضيلُ بنُ عياض رَحِمَهُ اللَّهُ:** (حاملُ القُرآن؛ حاملُ رايةِ الإسلام، لا يَنبغي له أن يَلغو مع من يَلغو، ولا يَسهو مع من يسهو، ولا يَلهو مع من يلهو؛ تعظيماً لله تعالى) [مختصر منهاج القاصدين].

⊙ **كان زيد بن الخطاب يحملُ رايةَ المسلمين يوم اليمامة،** ولقد انكشفَ المسلمونَ؛ حتى غَلَبت بنو حنيفة عن الرحال، فجعلَ زيدٌ يقول: أمَّا الرّحال فلا رحال[1]، ثم جعلَ يَصيحُ بأعلى صوته: اللهمَّ إنّي أعتذرُ إليك من فرار أصحابي، وأبرأُ إليك مما جاءَ به مسيلمة ومحكم بن الطفيل.

وجعلَ يَشتدُّ بالرّاية يَتقدَّمُ بها في نَحر العدو، ثُمَّ ضاربَ بسيفه؛ حتى قُتل ووقعت الرّاية. **فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، فقال المسلمونَ:** يا سالم إنا نخافُ أن نؤتى من قِبلك!!

فقال: بئس حاملُ القرآن أنا إن أُتيتم من قِبلي. [طبقات ابن سعد].

إنَّ اللهَ يَرفعُ بهذا الكتاب أقواماً.

لقي نافعُ بن عبد الحارث عمرَ بنَ الخطَّاب بعُسفان -وكان عمر استعمله على مكة- فقالَ عمر: من اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الوَادِي؟

قال: استخلفتُ عليهم ابن أَبْزَى، قال: ومن ابنُ أَبْزَى؟

قال: رجلٌ من موالينا، قال عمرُ: فاستخلفتَ عليهم مولى؟!

---

١) في رواية: أمّا الرّجال فلا رجال.

قال: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ الله تعالى، عَالِمٌ بِالفَرَائِضِ.

قال عمر رضي الله عنه: أما إنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يَرفعُ بهذا الكتاب أَقْواماً، ويَضَعُ بِهِ آخرِيْنَ» [سنن ابن ماجة].

قال الحسنُ البصري رحمه الله: كان رجلٌ يُكثِرُ غِشيان بابِ عُمر رضي الله عنه: فقال له عمر: اذهب فتعلّم كتاب الله تعالى.

قال: فذهبَ الرَّجلُ، ففَقَدَهُ عُمر، ثم لقِيهُ؛ فكأنّهُ عاتبه!

فقال: وجدتُ في كتابِ الله ما أغناني عن باب عمر. [مصنف ابن أبي شيبة].

أبو عبد الرَّحمن السُّلمي

مُقرئُ الكوفة؛ الإمامُ عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي رحمه الله، جَلَسَ في مسجد الكوفة يُعلِّمُ القرآن -يقال: أربعينَ سَنة- وكان يَروي حديثَ النبيِّ ﷺ: «خيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهَ» ويقول: (ذلك الذي أقْعَدَني هذا المقْعَدَ) [السير/ بتصرف].

طلبات الشافعي

لكلِّ إنسان طلبات وغايات، تختلفُ من شخص لآخر، وكلّما علَت الهمّةُ وارتقت؛ كان المطلوبُ أعلى وأرقى.

قال الإمام الشافعيّ رحمه الله: (طَلَبْنا تركَ الذُّنوب؛ فوَجَدْناهُ في صلاة الضُّحى، وطَلَبْنا ضياءَ القبور؛ فوَجَدْناهُ في قراءة القرآن، وطَلَبْنا عُبورَ الصِّراط؛ فوَجَدْناهُ في الصَّوم والصَّدقة، وطَلَبْنا ظلَّ العرش؛ فوَجَدْناهُ في إخوةٍ صالحين).

اعتذار خالد بن الوليد

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (لقد منعني كثيراً من القراءة [أي: في القرآن] الجهادُ في سبيل الله) [مسند أبو يعلى].

انظر ما هو عذره؟! الجهادُ هو من شَغلَهُ عن القرآن؛ فما هو عذرنا؟!

وابن تيمية يندم

أظهر شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **ندمه في آخر حياته -وهو في سجن القلعة- على عدم إيلاء كتاب الله الغايةَ القصوى فقال:**

(قد فَتَحَ اللهُ عليَّ في هذا الحِصن -في هذه المرَّة- من معاني القرآن... وندمتُ على تضييع أكثرَ أوقاتي في غير معاني القرآن) [ذيل طبقات الحنابلة].

هل بكيت مثله؟

قال عمرو بن مُرَّةَ رحمه الله:

(كُنتُ إذا قَرأتُ مَثلاً من القرآن فلم أَفهمهُ، بَكيتُ على نَفْسي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾) [تفسير ابن كثير].

مع الإمام مالك

✓ **قال أبو بكر الأوسي:**

(كان مالكٌ قد أدامَ النظرَ في المصحفِ قَبلَ موتهِ بسنين، وكانَ كثيرَ القراءةِ، طويلَ البكاء) [ترتيب المدارك].

✓ **وقال ابن وهب:**

قيل لأخت مالك: ما كان شُغلُ مالك في بيته ؟

قالتْ: المصحفُ، التِّلاوةُ. [سير أعلام النبلاء].

ابك أو لا تبك

قال حسين بن عمرو العنقزي رَحِمَهُ اللهُ: لما نَزَلَ بعبد الله بن إدريس الموتُ، بَكت ابنتُه.

فقال: لا تبك! فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

[صفة الصفوة].

بقيت الفاتحة

✍ **ذكرَ الخطيبُ البغداديُّ** رَحِمَهُ اللهُ: أنّ أحد العلماء تُوفّي فرُئي في المنام؛ فقالوا: ما فعلَ اللهُ بِكَ؟

فقال: ذهبتْ تلك الشَّطحات، وذهبتْ تلك العلوم -يعني: علوم الدُّنيا- **وبَقيتْ لنا سورةُ الفاتحة؛ كُنَّا نُعَلِّمها عجائِزَ في قَريَتنا**، نَفَعَ اللهُ بها.

✍ **قالَ السَّمْعَانِيّ:**

رُؤي -أبا مَنْصُوْر الخَيَّاط- بَعْد مَوْته، **فقال:** غَفَرَ اللهُ لِي بِتعليمِي الصِّبْيَان الفَاتِحَةَ. [سير أعلام النبلاء].

ذكرُ الله عزَّ وجلَّ

مُحال

✍ **قال أبو حمزة البَغدادي** رَحِمَهُ اللهُ: (من المُحال أن تُحبّه ثمّ لا تَذكره، ومن المُحال أنْ تَذكره ثم لا يُوجِدك طَعمَ ذِكره، ومن المُحال أن تجدَ طعم ذِكره ثم يُشغلك بغيره) [سير أعلام النبلاء].

✍ **وذَكَرَ الربيعُ** رَحِمَهُ اللهُ **عن بعض أصحابه أنّه قال:**

(علامةُ حِفظ الله: كثرةُ ذِكره؛ فإنّك لن تُحبَّ شيئاً إلا أكثرتَ ذِكرَه).

✍ **قال ذو النون** رَحِمَهُ اللهُ: (من اشتغلَ قلبُهُ ولسانُه بالذِّكر؛ قذفَ اللهُ في قلبِه نورَ الاشتياق إليه) [جامع العلوم والحكم].

✍ **قال عاصم الأحول:** (كان عامّة كلام ابن سيرين: **سُبْحانَ اللهِ العظيم، سُبْحانَ اللهِ وبِحمدِهِ**) [صفة الصفوة].

✍ **وقالَ ابنُ السَّمَّاكِ:** رَأَيتُ مِسْعَراً بن كِدام فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: أَيَّ العَمَلِ وَجَدْتَ أَنفَعَ؟

قَالَ: ذِكْرُ اللهِ.

قال فتح الموصلي رَحِمَهُ اللهُ:

(المحبُّ لله؛ لا يَغفلُ عن ذِكرِ الله

نجاة

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (ما شيء أَنجى من عذاب الله من ذِكر الله) [صحيح الترغيب].

وقال أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه: (لو أَنَّ رَجلاً في حِجرهِ دنانير يُعطيها، وآخر يَذكرُ اللهَ عز وجل؛ لكان الذَّاكرُ أَفضل) [حلية الأولياء].

أدركَ القومُ ما للذِّكر من عظيم أجر وفضل، فجعلُوهُ حياتَهم. قال إسماعيل بن عمر رحمه الله: دخلنا على ورقاء بن عمر بن كليب وهو يموتُ، فجعلَ يُكبِّر ويُهلّل ويَذكُر الله، فلمّا كَثُر الناسُ قال لابنه:

اكفني ردَّ السَّلام، لا يُشغِلوني عن ربِّي. [تذكرة الحفاظ].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

(يا جَهول يا غَفول! لو سمعتَ صريرَ القلم حين يَجري في اللوح المحفوظ بذِكْرِكَ؛ لمِتَّ طَرباً) [حلية الأولياء].

الصحابة والذِّكر

كانوا رضي الله عنهم يتحادَثُون، ويتناشدون الأشعار، فإذا جاء ذِكرُ الله؛ انقلبت حماليقهم[1]. [المستطرف].

---

[1]) باطن جفن العين.

الحمد لله

كان الفقيه بكر المزني يَمشي وأمامهُ رجلٌ يَعمل حطَّاباً، ويُكرّر أثناء مشيه: (الحمدُ لله، استغفرُ الله)!

فقال له بكر المزني: ألا تُجيدُ غيرها؟!

فقال الحطّاب: بلى فإنّي أحفظ القرآن، واعلم الكثير، ولكن المرء لا يزال يَتقلَّبُ بين ذنب أو نعمة، وأنا استغفرُ الله من الذنب، وأحمده على النعمة.

فقال الفقيه: جهل بكر وعَلِمَ الحطَّابُ.

قال بعضهم: من أكثر من قول: (الحمدُ لله) كثُرَ الدّاعونَ له.

قيل له: ومن أين قلتَ هذا؟

قال: لأنّ كلّ من يُصلي يقول: سمع اللهُ لمن حمده.

وقال آخر:

(لو رُزقَ العبدُ الدُّنيا وما فيها، ثم قال: الحمدُ لله؛ لكان إلهامُ الله لهُ بالحمدِ أعظمُ نعمة مِن إعطائه الدُّنيا وما فيها؛ لأنَّ نَعيم الدُّنيا يزول، وثوابُ الحمدِ يبقى).

قال الحسن البصري رحمه الله: (ما مِن رجل يَرى نعمةَ الله عليه فيقول: (الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتَ)؛ إلا أغناهُ اللهُ وزادهُ مِن فضلِهِ).

الاستغفار

قال مسروق رحمه الله: (المرءُ حقيقٌ أنْ يكونَ له مجالس يخلو فيها؛ فيذكر ذُنوبَه، ويستغفر منها) [تاريخ دمشق].

فَهِمَ هذا المعْنى رباح القيسي فقال رحمه الله: (لي نيِّف وأربعونَ ذنباً، قد استغفرتُ لكلِّ ذنب مائة ألف مَرَّة) [صفة الصفوة].

ومن جملة الوصايا التي كان يتبادلها الأولياءُ والأتقياء: الإكثار من الاستغفار:

- **فقد قال مالك بن دينار رحمه الله:** (كانَ الأبرارُ يتواصونَ بثلاث: بسجن اللسان، وكثرةِ الاستغفار، والعُزلة) [الحلية].
- **وقال الحسن البصري رحمه الله:** (أكثروا مِن الاستغفَار في بُيوتِكم، وعلى موائدِكم، وفي طُرقِكم، وفي أسواقِكم، وفي مجالسِكم، وأينما كُنتم؛ فإنّكم ما تَدرون متى تَنزل المغفِرة) [تزكية النفوس].

نهجُ الصالحين

إذا ما رأيتَ إنساناً يُكثر الاستغفارَ بَعد الطّاعات، ويخشى أنْ لا تُقبل منه؛ فاعلم أنهّ سلك طريق الفَالحين، وسارَ على درب الصَّالحين.

- **قال ابن القيِّم رحمه الله:**

(الاستغفارُ عَقِبَ الطَّاعات: طريقةُ الصَّالحينَ) [مدارج السالكين].

- **وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله:** (إذا لم تستطع أن تُنافسَ الصَّالحينَ في أعمالهم، فنافس المذنبينَ في استغفارهم).

أهٍ ثمّ أه!

قال ابن الجوزي رحمه الله: (أسفاً لعبد كلّما كَثُرت أوزَارهُ؛ قلَّ استغفاره، وكلّما قَرُب من القُبور؛ قوي عِنده الفُتور) [التبصرة].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

(مسكين ابن آدم ! قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار) [السير].

أغبى النّاس وأحمقهم

قال ابن القيِّم رحمه الله: (أَغبى النَّاس من ضلَّ في آخر سَفَره، وقد قاربَ المنزل) [الفوائد].

قرُبَ الرَّحيلُ إلى ديار الآخِرة فاجعل إلهي خَيرَ عُمري آخره

قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله لجلسائِهِ: أَخبِروني بِأحمقِ النَّاسِ؟

قالوا: رجلٌ باعَ آخرتَهُ بدُنياهُ.

فقالَ عمرُ: ألا أُنبئُكم بأحمقَ منه؟! قالوا: بَلى.

قالَ: رجلٌ باعَ آخرتَه بدُنيا غيرِهِ. [المورد العذب المعين].

نُرَقِّعُ دُنيانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا *** فلا دِينُنَا يَبقَى ولا ما نُرَقِّعُ

طوق نجاة

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عَجباً لمن يَهلك ومَعهُ طَوقُ النّجاةِ !

قيل له: وما طوقُ النّجاة؟!

قال: التّوبةُ والاستغفارُ.

مفتاحُ الفرج

وقال ابن صبيح: شكا رجلٌ إلى الحسن البصريّ الجدوبة.

فقالَ له: استَغفِر اللهَ.

وشكا آخر إليه الفقر.

فقالَ له: استَغفِر اللهَ.

وقال له: آخر ادع الله أنْ يرزقني ولداً.

فقالَ له: استَغفِر اللهَ.

وشكا إليه آخر جفاف بستانه.

فقالَ له: استَغفِر اللهَ.

فقلنا له في ذلك؟

فقال: ما قلتُ من عندي شيئاً، إن الله تعالى يقولُ في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [تفسير القرطبي].

نِعم الجار

قال أبو المنهال رحمه الله: (ما جاورَ عبدٌ في قبرِهِ من جارٍ؛ أَحبّ إليه من استغفارٍ كثير) [جامع العلوم والحكم].

وقال بكر بن عبد الله رحمه الله: قُلتُ لأخ لي: أوصني.

فقال: ما أدرى ما أقول! غيرَ أنّه يَنبغي لهذا العبد أن لا يَفتُر مِن الحمدِ والاستغفار؛ فإنَّ ابنَ آدم بين نِعمة وذنب، ولا تَصلحُ النِّعمةُ الا بالحمد والشّكر، ولا يَصلحُ الذَّنبُ إلا بالتّوبة والاستغفار. [مفتاح دار السعادة].

الدُّعاء

• **قال لقمان الحكيم رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه:** (يا بُنيَّ! عوِّد لسانَكَ: **(اللهمَّ اغفر لي)**؛ فإنَّ لله ساعات لا يَرُدُّ فيهنَّ سائلاً) [حُسن الظن بالله].

• **قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:** كم بيننا وبين عرش الرَّحمن؟

قال: دعوةٌ صادقةٌ من قلبٍ صادقٍ. [تزكية النفوس].

• **قال طاوس لعطاء:**

(إيّاك أن تَطلُبَ حوائجَكَ إلى من أَغلقَ بابَهُ دُونَكَ، ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مَفتُوح إلى يوم القيامة، أمَركَ أنْ تسألهُ، ووعدَكَ أنْ يُجيبَكَ) [جامع العلوم والحكم].

(أحدُهم يُحدِّثني لأدعو له غيباً، وأنا أحدثُ آخر ليشملني في دعائه، وكلُّنا -يا الله- ببابك واقفون).

• **قال ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ:** (القلوبُ الصَّادقة، والأدعيةُ الصَّالحة؛ هي العسكرُ الذي لا يُغلب) [الفتاوى].

• **وعن تأليفه لكتاب «مفتاح دار السّعادة» قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته:** (إذ كان هذا مِن بعض النُزل والتُّحف التي فتحَ اللهُ بها عليَّ حين انقطاعي إليه عِندَ بيتِهِ، وإلقائي نَفْسي ببابِهِ مسكيناً ذَليلاً، وتعرّضي لنفحاته في بيتِهِ وحولِهِ بُكرةً وأصيلاً؛ **فما خابَ من أنزلَ به حوائجهُ، وعلَّقَ به آماله، وأصبحَ ببابهِ مُقيماً وبحِمَاهُ نَزيلاً**).

• **ومما قاله الشيخ محمد محمّد المختار الشنقيطي في محاضرته «دمعة في الحجِّ»:**

(**يقولُ بعضُ العلماء:** من رحمةِ الله بعبادِهِ أنَّ المبتلى إذا صدَعَ بدعائه وكان صادقاً، لا يُعطيه اللهُ فقط تفريج الكُربة؛ بل يُعطيه تفْريج الكُربة وزيادة، ولذلك قال الله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾).

• **قال بعض السلف:** (يا ربّ؛ عَجبتُ لمن يَعرفكَ كيفَ يَرجو غيركَ! وعَجبتُ لمن يَعرفك كيف يَستعين بغيركَ!) [جامع العلوم والحكم].

• **ومن الرَّوائع قولهم:**

(لا أعلم ما يُخبِّئُ لي الغد! لكنّي خبَّأتُ له حُسنَ الظنِّ بالله).

قصة وعِبرة

كان إبراهيمُ بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ في البَحر؛ وهبّت ريحٌ، واضطربت السّفُن، وبكى النَّاسُ، **فقيل لبعضهم:** هذا إبراهيم بن أدهم؛ لو سألتَه أنْ يدعو الله! وكان إبراهيم قائماً في ناحية من السَّفينة، مَلفوفٌ رأسُهُ، فدنا إليه وقال: يا أبا إسحاق، ما ترى ما فيه النَّاس؟

فرَفَعَ إبراهيمُ رأسَهُ، وقال: اللهمَّ قد أَريتَنا قدْرتك؛ فأرنا رحمتَك!

قال الرَّاوي: فهدأت السّفُن. [وفيات الأعيان].

أتهزأُ بالدّعاء وتَزدريه ... وما تدري بما صنعَ الدعاءُ
سهامُ الليل لا تُخطي ولكـن ... لها أَمدٌ وللأمـد انقضـاءُ

العلم والعلماء

◈ **قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(من أرادَ الدُّنيا فعليه بالعلم، ومن أرادَ الآخرةَ فعليه بالعلم) [مواعظ الشافعي لصالح الشامي].

بهذا سبقونا

• **قيل لحمدون القصّار رَحِمَهُ اللَّهُ:** ما بالُ كلام السَّلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنّهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام، ونجاةِ النّفوس، ورضا الرَّحمن، ونحن نتكلَّمُ لعزِّ النّفوس، وطلب الدُّنيا، ورضا الخَلق. [صفة الصفوة].

• **قال محمّد خلف سلامة -في مَعرض حَديثِهِ عن علماء السَّلف وطلبهم للعلم-:**

(لقد كانوا يَطلبون العلم للعمل، وكانوا يُبْغضونَ الجدال والافتراض، ويَهابونَ الفتوى، ويُقِلّون الكلامَ ويُكْثرون العمل، ويعظِّمون كتابَ الله كثيراً، ويتلونه بتدبّر وتَفهم وتأثّر، ويَعمَلون بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ، **ويؤثِرون العلم الذي يؤثِّر في قلوبهم ويُرقِّقُها، ويُؤدي بهم إلى زيادة في تعظيم الله ومحبّته وخوفه ورجائه وطاعته؛** ويُحبّون الاستماعَ أكثر مما يُحبّون الكلام، ويُؤثِرون عدم الظّهور والشُّهرة، ويَزيدُهم العلمُ خوفاً من الله وتواضعاً وانكساراً وسُوء ظن بالنَّفْس) [المورد العذب المعين].

صدقُ المعلم

• كان الرَّبيع بن سليمان بَطيءُ الفهم، فقال له الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:
(لو قدرتُ أنْ أُطعمكَ العلم لأطعمتك!) [طبقات الشافعية الكبرى].

• وقال ابنُ جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ:
(كنّا إذا رأينا في صبيٍ نباهةً؛ ألقينا عليه شِباكَنا، فلا نُخرجهُ إلا عالِماً).

نَهجُد العلماء

• قال الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا بُدَّ للعالم مِن وِردٍ من أعماله، يكون بينه وبين الله تعالى) [مواعظ الشافعي].

• قال عبد الصمد بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: كنتُ أَطلبُ الحديثَ عند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فبتُّ ليلةً، فوضعَ الماءَ عندي، فلما أَصبحَ نظرَ إلى الماء؛ فوجد أنّي لم أَستعمِلهُ!!

فقال: صاحبُ حديث لا يكونُ له وردٌ من الليل!!

فقلتُ: أنا مسافر.

فقالَ: وإنْ كُنتَ مسافراً!! لقد حجَّ مسروق العابد؛ فما نامَ إلا ساجداً.

[تاريخ دمشق]

العلم لله

• دخلَ الإمامُ الفقيه عبد الله بن مُحيريز رَحِمَهُ اللَّهُ دكاناً يريد أنْ يشتري ثوباً، فقال رجلٌ -قد عَرَفَهُ- لصاحب المحل: هذا ابنُ محيريز؛ فأحسِن بيعه، فغضب ابنُ محيريز! وطَرَحَ الثّوبَ، وقال:

إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بدِيننا. [صفة الصفوة].

• **وكان محمَّد بن يوسف الأصبهاني** رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَشتري خُبزه من خبّاز واحد، ولا بَقْلَهُ من بقّال واحد، ويقول: لعلّهم يَعرفوني! ولكن إذا جئته لأوّل وهلة لا يَعرفُ أنّي فلان الذي يَسمعُ عنه؛ فتقع لي المحاباة، فأكون ممن يَعيشُ بدينهِ. [البداية والنهاية/ بتصرف].

الإمام ابن القيِّم

• **قال ابنُ رجب الحنبلي في ترجمة ابن القيِّم:** (كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا عبادةٍ وتَهَجّدٍ، وطول صلاة إلى الغاية القُصوى، وتألهٍ ولهج بالذِّكر، وشَغفٍ بالمحبّة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطّراح بين يديه على عتبة عبوديته.

لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيتُ أوسعَ منه عِلماً، ولا أَعرَفُ بمعاني القرآن والسُّنَّة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله...

وحجَّ مراتٍ كثيرة، وجاور بمكَّة، وكان أهلُ مكَّة يَذكُرون عنه من شِدّة العبادة، وكَثرة الطَّواف أَمراً يُتعجَّبُ منه) [ذيل طبقات الحنابلة].

بناء النَّفْس

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من تعلَّم القرآن؛ عظُمت قيمَتُهُ، ومن تكلّمَ في الفقه؛ نَمَا قَدْرهُ، ومن كَتبَ الحديْثَ؛ قَويتْ حُجَّتُهُ، ومن نَظَرَ في اللّغَة؛ رَقَّ طَبْعُه، ومن نَظَرَ في الحساب؛ جَزُل رأيُهُ، ومن لم يَصُنْ نَفْسَهُ، لم يَنفعهُ عِلمُهُ) [سير أعلام النبلاء].

أثر العلم على صاحبه

• **قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كان الرَّجُلُ يَطْلبُ العلْمَ، فلا يَلْبَثُ أَنْ يرَى ذلكَ فِي تَخَشُّعِهِ، وزُهدِهِ، ولسَانِهِ، وبَصرِهِ) [سير أعلام النبلاء].

• **قالت أمُّ سفيان الثوري لابنِها سفيان: (يا بُني..** إذا كتبتَ عشْرةَ أَحرف؛ فانظر.. هل ترى في نفْسِك زيادةً في خشيَتِك وحِلمك ووقارِك؟! فإنْ لم تر ذلك؛ فاعلم أنّها تَضرُّكَ ولا تَنفعُكَ!) [صفة الصفوة].

رسالة من ابن الجوزي إلى طلبة العلم

نصحنا ابنُ الجوزي بكلمات تُكتب بماء العُيون، ولا ينبغي أنْ تغيب عن القلوب والعُيون؛ لمن يرجو في الجنان الأنهار والعُيون، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنه بقدر إجلالكم لله عَزَّوَجَلَّ يُجِلُّكم، وبمقدار تعظيم قدْره واحترامه؛ يُعظِّم أقداركم وحرمتكم، ولقد رأيتُ -والله- من أَنْفَقَ عمره في العلم إلى أنْ كَبُرت سِنّهُ، ثم تعدّى الحدود؛ فهانَ عند الخَلْق، وكانوا لا يَلتَفِتونَ إليه مع غَزارةِ عِلمه، وقوّةِ مجاهدته.

ولقد رأيتُ من يُراقب الله عَزَّوَجَلَّ في صَبوتِهِ؛ مع قُصورِه بالإضافة إلى ذلك العالم؛ فعظَّمَ الله قَدْره في القلوب، حتّى عَلِقَتْهُ ووصفَته بما يَزيد على ما فيه من الخير.

ورأيتُ من كان يَرى الاستقامة إذا استقام، وإذا زاغ؛ مالَ عنه اللطفُ، ولولا عموم السّتر وشمول رحمة الكريم؛ لافتضحَ هؤلاء المذكُورون، غير أنّه في الأغلب تأديبٌ، أو تَلَطّفٌ في العقاب) [صيد الخاطر].

مواطن التّهم

موطن الهلكات، وساحة الدَّركات، قَلَّ من يَسلم منه، بل ربما لم يَسلم منه أحد؛ ذاكم هو: بابُ السُّلطان؛ مُعترَكُ المنايا، وطريق الرزايا والبلايا.

قال سعيد بنُ المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا رأيتم العالمَ يَغشى الأمراء؛ فاحذروا منه؛ فإنّه لص) [مختصر منهاج القاصدين].

السلطان بعد الشيب

قالوا: (السُّلطانُ من اعتزلَ السُّلطانَ).

✓ **قال عمر بن عبد المجيد:**

اعتمَّ شَهر بنُ حَوشب [أي: لبس عمامته] وهو يُريد سُلطاناً يأتيه؛ ثم أخذَ المرآة فنظرَ في وجهه وعمامته؛ فنظرَ إلى لحيته فرأى شيبَةً، فأخذها بيده، ثم نفضَ عمامتَه، ثمّ جعلَ يقول:

السُّلطانُ بعد الشيب!! السُّلطانُ بعد الشيب؟! [تاريخ دمشق].

✓ **قال حمّادُ بنُ زيد** رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان أيوب السّختياني صَديقاً ليزيد بن الوليد، فلمّا ولي يزيدُ الخلافةَ، **قال أَيوبُ:** اللهمَّ أنْسِه ذِكْري! [السير].

القدوة

◈ **قال الزهريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كنّا نأتي العالمَ؛ فما نتعلَّمُ مِن أدبِهِ أَحبُّ إلينا مِن عِلْمِهِ) [اقتضاء العلم العمل].

◈ **قال الشافعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (جَمالُ العلماء: كرمُ النَّفْس، وزينة العلم: الورع والحلم) [مواعظ الشافعي لصالح الشَّامي].

العلماء والعهد

◈ **قال الحجّاج ليحيى بن يَعْمر:** ما تقولُ في واسط؟ [مدينة بناها الحجاج]؟ فقال له: ما أقولُ فيها، وقد بنيتَها من غير مالِك، وسيسكنُها غيرُ أهلك!

فقال له الحجاج -في غيظ وغضب- : ما حَمَلَكَ على ما قلتَ؟

قال: ما أَخَذَ اللهُ تعالى على العلماء من العهدِ ألاَّ يكتموا النَّاسَ حَديثاً.

قال له الحجاج: ألم تخش سيفَ الحجاج؟!

فقال له يحيى: لقد ملأْتني خشيةُ الله جلَّ وعلا؛ فلم تَدَعْ مكاناً لخشية سِواه). [إيقاظ أولي الهمم العالية]

أدبٌ جمّ

◈ **قال مُعاذ بن سعيد** رَحِمَهُ اللهُ: كُنّا عند عطاء بن أبي رَباح، فتَحدَّث رجلٌ بحديثٍ؛ فاعترض آخرُ في حَديثه.

فقال عطاء: سُبحان الله! ما هذه الأخلاق، ما هذه الأخلاق؟!

إنّي لأسمعُ الحديثَ من الرَّجل -وأنا أعلمُ منه به-؛ فأريهُ أني لا أُحسنُ منهُ شيئاً. [صفة الصفوة].

✓ **قال عليُّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

(العلمُ خيرٌ من المال؛ لأنَّ المالَ تحرسُهُ والعلمُ يَحرُسكَ، والمالُ تُفنيه النفقةُ، والعلمُ يزكو على الإنفاق، والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه، ماتَ خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماءُ باقونَ ما بقي الدَّهرُ، أعيانُهم مفقودة وآثارُهم في القلوب موجودة) [جامع بيان العلم].

الخلاف لا يُفسد الوداد

تَعْجَب -والله- وحُقَّ لك أن تَعجَب من طُلاب علم هذا الزّمان!

يَختصمونَ ويتهاجرون لأدنى خلاف، ويُبَدِّعُ ويُفَسِّقُ بعضُهم بعضاً، ويتبادلونَ الشتائم والتُّهم؛ بل ربما كفَّرَ أحدُهم الآخر لخلافٍ وسِعَ الصحابة والعلماء الأخيارَ قَبلنا!!

ومن تَتَبعَ كُتب القوم وردودَهم: عبرَ الفضائيات وشبكة المعلومات (الإنترنت)؛ يشيب رأسُهُ لهول وشناعة ما يسمعُ، ولقذاعة ما يقرأُ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون!

قال التابعي الجليل يحيى بن سعيد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما بَرِحَ المستفتون يستفتون، فيُحِلُّ هذا، ويُحرِّم هذا، فلا يَرى المحرِّمُ أنَّ المحلِّل هلَكَ لتحليله، ولا يَرى المحلِّلُ أن المحرِّم هلَكَ لتحريمه) [جامع بيان العلم].

قبل أنْ تقرأ هذا القول لسفيان الثوري، ترَيَّث وتأمّل في مسائل الخلاف التي تُفرِّق المسلمينَ وتُمزِّقهم، هل لها أصول وأدلة شرعية ؟ وهل سَبَقنا بقولها علماء أجلَّاء؟ فإنْ كانت كذلك؛ فلماذا التّعصبُ والتباغض، ولماذا التهاجر والتدابر؟

قال رَحِمَهُ اللَّهُ -ويا لروعة ما قال-: (إذا رأيتَ الرَّجلَ يَعملُ العملَ الذي قد اختُلِفَ فيه، وأنتَ ترى غيرهُ؛ فلا تنهَهُ).

وقال أيضاً: (ما اختلف فيه الفقهاء، فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذ به) [الفقيه والمتفقه].

✍ **قال يونسُ الصدفيُّ رَحِمَهُ اللهُ:**

ما رأيتُ أَعقلَ من الشّافعيِّ! ناظرتُه يوماً في مسألة، ثمَّ افترقنا، ولَقيني؛ فأخذ بيدي، **ثمَّ قال:**

يا أبا موسى! ألا يَستقيم أنْ نَكون إخواناً؛ وإنْ لم نتفق في مسألة؟.

[سير أعلام النبلاء].

✍ **كَتَبَ عبد الله بن عبد العزيز العمري -العابد- إلى الإمام مالك ابن أنس يَحضُّه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك:**

(إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَسَّمَ الأعمالَ كما قَسَّمَ الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتِحَ له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصَّوم، وآخر فُتِحَ له في الصَّدقة، ولم يُفتح له في الصِّيام، وآخر فُتِحَ له في الجهاد ولم يفتح له في الصَّلاة.

ونَشْرُ العلم وتعليمه من أفضل أعمال البِرِّ؛ وقد رضيتُ بما فَتَحَ الله لي فيه من ذلك، وما أَظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير، ويجبُ على كلِّ واحد مِنَّا أن يرضى بما قُسِمَ له.. والسّلام).

[التمهيد لابن عبد البَرّ/ ٧/ ١٨٥].

✍ **وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللهُ:** (الرّجل الجليل الذي له في الإسلام قَدَمٌ صالحٌ، وآثارٌ حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان؛ قد تكون منهُ الهفْوة والزَّلَّة، هو فيها معذورٌ؛ بل ومأجورٌ لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أنْ تُهدْر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين) [إعلام الموقعين].

طلاب العلم وحُبُّ الرئاسة

حبُّ الرّئاسة؛ تلك الشّهوة الخفيّة والمخيفة!

مرضٌ عُضال، وهوسٌ مُتجذِّرٌ في القلوب، ومتأصلٌ في النّفوس، كم قَسَمَ من ظَهرٍ، ونكَّس من رأس، والتخلّصُ منها يحتاجُ -بعد عون الله- إلى جِهادٍ للنفس كبير.

> **قال الإمام مالك رحمه الله:** (إِنَّ الرَّجُلَ إِذا ذَهَبَ يَمدَحُ نَفْسَه، ذَهبَ بَهاؤُهُ) [سير أعلام النبلاء].

قال سفيان الثوري رحمه الله: (ما رأيتُ الزُّهدَ في شيء أقلّ منه في الرِّياسة! ترى الرَّجلَ يَزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإذا نُوزعَ في الرياسة؛ حامى عليها وعادى) [حلية الأولياء].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (وإني تَدبَّرتُ أحوالَ أكثر العلماء والمتزهّدين؛ فرأيتهم في عقوبات لا يُحِسُّونَ بها، ومعظمها من قِبل طلبهم للرّياسة) [صيد الخاطر].

ليس الأمر بالسهل

قال أبو الحسن السّيروني الصغير رحمه الله: (آخرُ ما يَخرج من رؤوس الصدِّيقين: حُبّ الرياسة) [نفحاتُ الأُنس].

وقال الفضيلُ بن عياض رحمه الله: (لَقلْعُ الجبال بالإبر؛ أهون من قلع رئاسة قد ثبَتَت في القُلوب) [أخبار أصبهان].

الهوان

قال سَهل بن محمد بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: (من تَصَدَّرَ قَبْلَ أوانِهِ؛ فَقَد تَصَدَّى لهوَانهِ) [السير].

وقال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (من طَلَبَ الرِّياسة؛ فرَّت مِنه، وإذا تَصَدَّرَ الحدَثُ؛ فاتَه علمٌ كثيرٌ) [صفة الصفوة].

احذر

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كتبَ حكيمٌ إلى حكيم: يا أخي! قد أُوتيتَ عِلماً، فلا تُدنّس عِلمَكَ بظلمة الذّنوب، فتبقى في الظّلمة يوم يَسعى أهلُ العلم بنور عِلمهم) [مواعظ الشافعي لصالح الشامي].

قال أكثم بن صيفي رَحِمَهُ اللَّهُ: (حُبُّ المديح؛ رأسُ الضَّياع).

قالوا قديماً: (حُبُّ الظّهور؛ يَقسِمُ الظّهور).

الفتوى والإفتاء

الفرار من الفتوى

قال البراءُ رضي الله عنه: (لقد رأيتُ ثلاثمائة من أصحاب بدر؛ ما فيهم من أحد إلا وهو يُحبُّ أنْ يَكفيَهُ صاحبَه الفُتيا) [المعرفة والتاريخ].

وقال عبد الرَّحمن بن أبي ليلى رحمه الله:

(لقد أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب الرَّسول ﷺ؛ يُسأل أحدهم عن المسألة؛ فيردّ هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا! حتّى ترجع إلى الأوّل) [المعرفة والتاريخ].

قال عمرو بن دينار لقتادة لـمّا جَلَس للفُتيا:

(تدري في أيِّ عملٍ وقعتَ؟ وقعتَ بين الله وبين عبادِهِ، وقلتَ: هذا يَصلح، وهذا لا يَصلح) [ذمُّ الجاه والمال].

خوف ووجل

قال عطاء رحمه الله: (أدركتُ أقواماً إنْ كان أحدهم ليُسأل عن الشيء؛ فيتكلَّم وإنه ليَرعِد!) [المعرفة والتاريخ].

وكان النَّخعي رحمه الله يُسأَلُ؛ فتظهر عليه الكراهة، ويقول:

(ما وجدتَ أحداً تسأله غيري؟!) [ذمُّ الجاه والمال].

مجنون!!

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من أفتى النَّاس في كلِّ ما يَسألونَه عنه؛ فهو مجنون) [الطبراني الكبير].

بكاء فقيه المدينة

قال عبد الله بن وهب: حَدَّثني مالك قال: أَخبرني رجل أَنَّه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن -ربيعة الرأي؛ فقيه المدينة ومفتيها في زمنه- فوجده يبكي.

فقال له: ما يُبكيك؟ وارتاع لبكائه!

فقال له: أمصيبةٌ دخلت عليكَ؟!

فقال: لا ولكن استُفتيَ من لا عِلمَ له، وظهرَ في الإسلام أَمرٌ عظيم، ولَبَعضُ من يُفتي ها هنا أَحقّ بالسّجن من السُّراق. [جامع بيان العلم].

غضبُ الإمام مالك

سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسألة؛ فقال: لا أدري.

فقال له السائل: إنها مسألةٌ خفيفةٌ سهلةٌ، وإنما أردتُ أنْ أُعلم بها الأميرَ!

فغضبَ وقال: مسألةٌ خفيفةٌ سهلةٌ! ليس في العلم خفيفٌ، أمَا سمعتَ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ؟ [ترتيب المدارك].

والإمام مالك هو القائل:

(ما أَفتيتُ؛ حتّى شهِدَ لي سبعونَ أنّي أهلٌ لذلك) [الفقيه والمتفقه]. **ومع ذلك يقول: لا أدري!!**

وعن عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يَنبغي لأحد أن يُفتي الناس، حتى يكون عالمًا باختلاف الناس) [جامع بيان العلم].

قَطعُ لساني أحبّ إليّ

سُئل العالم الفقيه القاسم بن محمَّد بن أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيء، فقال: لا أُحْسِنُهُ.

فقال السائل: إني جئتُكَ لا أَعرفُ غيرَكَ!

فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة النَّاس حولي؛ والله ما أُحْسِنُهُ!

فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها! فوالله ما رأيتُك في مجلس أَنبل منك اليوم.

فقال القاسم: والله لأنْ يُقطع لساني؛ أحبّ إليَّ من أنْ أتكلّم بما لا عِلم لي به. [إعلام الموقعين].

جرأة

قال سحنون بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أَجسَرُ النَّاس على الفُتيا أقلهم علماً، يكون عند الرَّجل الباب الواحد من العلم؛ فيظنُّ أنَّ الحقَّ كلّه فيه!) [عوائق الطلب].

وسُئل عمر بنُ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسألة، فقال:

(ما أنا على الفُتيا بجريء) [ذمُّ الجاه والمال].

سلامة الصَّدر

✍ **كان رجل يؤذي أبا هريرة بلسانه:** فقيل له: مات فلان.

فقال رضي الله عنه: ليس في الموت شماتة. [تاريخ دمشق].

✍ **وعند حديثِهِ عن شيخه -شيخُ الإسلام ابن تيميّة- قال ابنُ القيِّم في «مَدارج السّالكين»:**

(كان يَدعو لأعدائه، ما رأيتُه يَدعو على واحد منهم، وقد نَعيتُ إليه يوماً أحدَ مُعارضيه الذي كان يَفوقُ الناسَ في إيذائه وعدائه؛ فزَجَرَني وأَعرضَ عنّي وقرأ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وذهبَ لساعتِهِ إلى منزله فعزَّى أهلَه وقال: اعتبروني خليفةً له ونائباً عنه، أساعدكم في كلِّ ما تحتاجون إليه، وتحدَّث معهم بلُطف وإكرام؛ بعثَ فيهم السّرور، فبالغَ في الدّعاءِ لهم حتّى تعجَّبُوا منه).

فرحم الله الجميع

✍ **قال السّري السقطي** رحمه الله:

(مِن أجَلِّ أخلاق الأبرار؛ سَلامة الصّدر للإخوان، والنّصيحة لهم) [أدب العشرة وذكر الصُحبة والإخوة].

✍ **قال قاسم الجوعي** رحمه الله: **(أفضلُ العبادة؛ مكابدةُ الليل، وأفضلُ طرق الجنَّة؛ سَلامة الصَّدر)** [بستان العارفين].

✍ **قال الحارث المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(واعلم أنه لا طريقَ أقرب من الصّدق، ولا دليلَ أنجحَ من العلم، ولا زادَ أبلَغَ من التَّقوى، وما رأيتُ أنفى للوسواس من ترك الفُضول، **ولا أنورَ للقلب من سَلامة الصّدر**، ووجدتُ كرامةَ المؤمن تَقواهُ).

[رسالة المسترشدين]

✍ **قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(ما أدركَ عِندنا من أدْركَ بكثرة الصّلاةِ والصّيام، وإنّما أدركَ عندنا بسخاء الأُنفس، **وسَلامة الصّدور**، والنُّصح للأمّة).

[جامع العلوم والحكم]

✍ **قال سلمان بن فهد العودة:**

(لا تَسمح لقَلبِكَ –أبداً– أنْ يَفرحَ بموت مسلم عابدٍ لله؛ لمجرَّد خصومة بينك وبينَهُ، فإنْ أَبَى قلبُكَ إلا هذا؛ **فتخلَّ عنهُ فإنّه ليس قَلبَاً**؛ بل هو حَجرٌ مِن الحِجارة، بل الحِجارةُ ألينَ منه وأرقَّ، فهي تبكي لموت المؤمن، كما قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾).

[شُكراً أيها الأعداء].

الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكر

وظيفة الأنبياء والمرسلين

✓ **قال أبو الدرداء رضي الله عنه:**

(ما تَصدَّق مؤمنٌ بصدقةٍ أحبّ إلى الله من موعظةٍ يعِظُ بها قوماً، يقوم بعضهم وقد نفَعهُ اللهُ بها) [تاريخ دمشق لابن عساكر].

✓ **قال ابن القيّم رحمه الله:**

(فالدَّعوة إلى الله تعالى: هي وظيفةُ المرسَلين وأتباعهم، وهم خُلفاء الرُّسل في أُممهم والنّاس تَبَعٌ لهم) [جلاء الأفهام].

✓ **قال شجاع بن الوليد:**

(كنتُ أَخرجُ مع سفيان الثوريِّ، فما يَكادُ لسَانهُ يَفتُر عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ ذَاهباً ورَاجعاً) [الحلية].

الرِّفق

قال ثابت البُناني رحمه الله: مَـرَّ بصلة بن أشيم وأصحابه فتىً يَجرُّ ثوبَهُ، فهَمَّ أصحابُ صِلة أنْ يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً.

فقال صِلةُ: دعوني أكفكم أَمْرَهُ!

فقال للفتى: يا ابن أخي! إنَّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتُك؟

قال: أُحبُّ أنْ ترفع إِزارَكَ، قال الفتى: نَعم، ونِعم عين، فرفعَ إزارهُ.

فقال صِلةُ لأصحابه:

هذا كان أَمْثَل ممّا أَردتم، لو شَتَمْتُموه وآذيتموه؛ لشتَمكم. [الحلية].

✍ **قال ابن عثيمين رحمه الله:** (كلّما كان الإنسانُ بعباد الله أرحم؛ كان إلى رحمة الله أقرب) [شرح رياض الصالحين].

✍ **قال بعضُ الدعاة:**

(كلّما ازددتَ مَعرفةً بالحقِّ –سبحانه–؛ ازددت رحمةً بالخَلْق).

من أبواب الجهاد

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (التعاون مع رجال الهيئة الآمرين بالمعروف النَّاهين عن المنكر؛ يُعتبرُ من الجهاد في سبيل الله، في حقٍّ من صَلُحت نيّته) [مجموع رسائل وفتاوى ابن باز].

أمقتُ الخلق عند الله

✍ **قال ابنُ القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما أكثر من يَتعبّد الله بترك ما أوجب، فيتخلّى وينقطع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مع قدرته عليه، ويزعم أنّه مُتقرِّب إلى الله بذلك، مجتمعٌ على ربِّه، تاركٌ ما لا يَعنيه! فهذا من أمقَتِ الخَلقِ إلى الله تعالى وأبغضِهم إليه). [إغاثة اللهفان].

✍ **قال العمري الزاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (من تَرَكَ الأمرَ بالمعروف والنّهي عن المنكر مخافةً من المخلُوقين؛ نُزعت منه الطَّاعة، ولو أَمرَ ولَدَهُ أو بعضَ مواليه؛ لاستَخَفَّ بحقِّهِ) [الداء والدواء].

✍ **قال الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «فتح القدير»:** (والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية وأجلِّ فرائض الشرعية، ولهذا كانَ تاركه شريكاً لفاعل المعصية، ومُستحقّاً لغضب الله وانتقامه).

وقال عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

(وهكذا سُنّةُ الله في عباده، أنَّ العقوبة إذا نَزلت؛ نجا منها الآمِرونَ بالمعروف والنّاهونَ عن المنكر) [تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان].

صرخة ابن القيّم وأحمد ديدات

دوّت صرختُه فأسمعت، فهل بلَغَكَ النداء؟ اسمع.. قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأيُّ دِين وأَيُّ خيرٍ فيمن يَرى محارمَ الله تُنتهك، وحدودَه تُضاع، ودينهُ يُترك وسُنَّةَ رسول الله ﷺ يُرغبُ عنها، وهو باردُ القلب، ساكتُ اللسان شيطان أخرس؛ كما أنّ المتكلّم بالباطل شيطانٌ ناطق.

وهل بليّةُ الدِّين إلا من هؤلاء الذين إذا سلِمت لهم مآكلهم ورياساتهم؛ فلا مُبالاة بما جرى على الدِّين، وخيارهم المتَحزّن المتلمّظ، ولو نُوزعَ في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله؛ بذلَ وتبذّل وجدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعِه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم؛ قد بُلوا في الدُّنيا بأعظم بَليّة تكون وهم لا يَشعرون؛ وهو موتُ القُلوب، فإنَّ القلبَ كلّما كانت حياتُهُ أتم؛ كان غَضبُهُ لله ورسولِه أقوى، وانتصارُهُ للدِّين أكمل).

[إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين].

☜ **وتألّم الداعية أحمد ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ لتخلّف المسلمين عن واجب الدّعوة إلى الله، فصَرَخَ بمرارة وهتَفَ بحرارة؛ فقال:**

(وبينما نرى المبشِّرينَ يَندفِعونَ في نِطاقٍ واحدٍ لِنشر دِينهم، والتَّضحية بحياة التَّرف والبذخ، والعيش في أدغال أفريقيا، والصَّحاري الحارقة لا يَفعل المسلمون ذلك.

قلّما نسمعُ مَن يَدعوننا إلى الانطلاق للدَّعوة إلى الله في بِقاع العالم ، إنّهم يُحدِّثوننا عن الصَّلاة والزَّكاة فحسب) [هذه حياتي.. سيرتي ومسيرتي].

الصبر.. الصبر

قال أويس القرني رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر لم يَدع للمؤمن صديقاً! نأمُرُهم بالمعروف؛ فيشتِمُون أَعراضنا، ويَجدونَ على ذلك أَعواناً من الفاسقين، حتّى -والله- لقد رَموني بالعظَائم! **وأيم الله! لا أَدَعُ أنْ أقوم لله فيهم بحقِّه**) [مختصر صفة الصفوة].

اغتنام الفرص

دخلَ لصٌ بيتَ مالك بن دينار؛ فما وجدَ ما يأخذه، فناداهُ مالكٌ:

لم تجدْ شيئاً من الدُّنيا، فترغب في شيءٍ من الآخرة؟

قال: نَعم.

قال مالك: توضأ وصلِّ رَكْعتينِ.

ففعلَ، ثم جلسَ، وخرجَ إلى المسجِدِ.

فسُئِلَ مالك: من ذا؟

قال: جاء ليسرقَ؛ فسرقناهُ! [السير].

الرِّزق على الله

أَرِح نَفْسَكَ من العَناءِ، ارض بما قسَمَ اللهُ لك، لا تَقلق لقلَّة ذات اليد؛ فالرِّزقُ مَقدُور، والقضاءُ نافذ، رُفعَتْ الأقلامُ -بما هو كائن- وجفّت الصُّحفُ بما هو مكتُوب.

○ قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (ابن آدم! لستَ بسابق أَجلك، ولا ببالغ أَمَلك، ولا مَغلوب على رزقك، ولا بمرزوق ما ليس لك؛ فعلامَ تقتلُ نفْسك؟!) [المورد العذب المعين].

○ وشكا أُناسٌ لسَلمة بن دِينار؛ فقالوا: يا أبا حازم! أما ترى؛ قد غلا السِّعر؟!

فقال: وما يغمُّكم من ذلك؟! إنَّ الذي يَرزُقنا في الرُّخص هو الذي يَرزُقنا في الغلاء. [مختصر تاريخ دمشق].

○ ومن روائع الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

دَعِ الأَيَّامَ تَفعَلُ ما تَشاءُ ... وَطِب نَفْساً إِذا حَكَمَ القَضاءُ
ولا تَجزَع لحادِثَةِ اللَيالي ... فما لِحَوادِثِ الدُّنيا بقاء
ورِزقُكَ ليسَ يُنقِصُهُ التَأَنّي ... وليسَ يَزيدُ في الرِّزقِ العَناءُ
ولا حُزنٌ يَدومُ وَلا سُرورٌ ... ولا بُؤسٌ عَلَيكَ ولا رَخاءُ
إِذا ما كُنتَ ذا قَلبٍ قَنـــوعٍ ... فأَنت ومالِكُ الدُنيا سَـــواءُ

○ قالَ أبو سُليمان الدَّاراني رَحِمَهُ اللهُ:

(مَن وثِقَ بالله في رزقِهِ؛ زادَ في حُسْن خُلقِهِ، وأعْقبَهُ الحِلمَ، وسَخَتْ نَفْسُه، وقَلَّت وسَاوسُهُ في صلاتِهِ) [السير].

فكيف بنظرة أرحم الراحمين؟!

✓ **قال حاتم الأصمّ رَحِمَهُ اللَّهُ لأولاده:** إني أُريد الحجَّ، فبكوا؛ وقالوا: إلى من تكِلنَا؟

فقالت إحدى بناته: اسكتوا! دعوه؛ فليس هو برزَّاق، الله هو الرَّزاق!

فباتوا جياعاً، وجعلوا يوبِّخون البنت، قالت: اللهمَّ لا تُخجلني بينهم!

فمرَّ أميرُ البلد، وطلب ماءً؛ فناوله أهلُ حاتم كُوزاً جديداً فيه ماء بارد فشرب، وقال: دارُ من هذه؟

فقالوا: دارُ حاتم الأصمّ، فرمَى فيها [صُرّة] من ذهب، وقال لأصحابه: من أَحبَّني فعل مثلي، فرمى من حوله كُلُّهم مثله.

فجعلت ابنةُ حاتم تبكي، فقالت لها أمُّها: ما يُبكيك وقد وسَّعَ الله علينا؟! **فقالت: مخلُوقٌ نظر إلينا فاستغنينا!**

أي: فما ظنك يا أمَّاه! برحمة الخالق جلَّ وعلا الذي سخّر لنا هذا المخلوق؛ فعطّفه علينا؟

✓ **وقالت مريمُ البَصريّة رحمها الله:**

(ما اهتممتُ بالرِّزق ولا تعبتُ في طلبه مُنذُ سمعتُ اللهَ عزَّ وجل يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾) [الرِّزق أبوابه ومفاتحه].

ادخر ربي لولدي

✓ **أصابَ محمّدُ بن كعب القُرظيَ رَحِمَهُ اللَّهُ مالاً؛ فقيل له:** ادّخر لولدِكَ من بَعْدكَ!

قال: لا، ولكن أدَّخِره لنَفْسي عند ربي، وأَدخرُ ربِّي لولَدي.

[الزهد الكبير].

الله يرزقهم وإيّاكم

كثيرٌ من الآباء يَجهدُ في تحصيل المال؛ رغبةً في تأمين مستقبل رغيدٍ لأولاده، ولا يُبالي من أين يكسب ماله من حلال أم حرام!

وإلى من كان هذا طبعهُ وشأنهُ؛ ننقلُ هذه المحاورة التي فيها ما فيها من عظيم الثّقة بالله والتَّوكّل عليه سبحانهُ:

دخلَ مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ على أبي جعفر المنصور رَحِمَهُ اللَّهُ يومَ بُويع بالخلافة؛ فقال له المنصور: عِظني يا مُقاتل!

فقال: أعِظُكَ بما رأيتُ أو سمعتُ؟

قال: بما رأيتَ.

قال: يا أمير المؤمنين! عمر بن عبد العزيز؛ أَنجَبَ أَحَدَ عَشَرَ ولداً، وتركَ ثمانية عشر ديناراً؛ كُفِّنَ بخمسة دنانير، واشتُري له قبرٌ بأربعة دَنانير، ووزِّعَ الباقي على أولاده.

وهشام بن عبد الملك؛ أَنجبَ أَحَدَ عَشَرَ ولداً، وكان نصيبُ كلّ ولدٍ من التَّركة مليون دينار.

والله -يا أميرَ المؤمنين- لقد رأيتُ في يومٍ واحدٍ؛ ولداً من أولاد عمر بن عبد العزيز يتصدق بمائة فرس للجهادِ في سبيل الله، وأَحدُ أولادِ هشام يَتسوَّلُ في الأسواق. [هبّي يا ريح الإيمان].

وقال مَسلمة بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز رحمه الله:

يا أمير المؤمنين؛ إنك أفقرتَ أفواهَ ولدِكَ من هذا المال، وتركتَهم عيلة[1] لا شيء، لهم فلو وصّيتَ بهم إليَّ وإلى نظرائي من أهل بيتك.

فقال عمر: أسندوني، ثم قال:

أمّا قولك: إني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال؛ فوالله إني ما منعتُهم حقّاً هو لهم، ولم أُعطهم ما ليس لهم.

وأما قولُك: لو أوصيتَ بهم، فإنَّ وصيي ووليي فيهم الله الذي نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصّالحين.

بَنيَّ أحدُ الرّجلين:

إمّا رجل يتقي الله؛ فسيجعل الله له مخرجاً.

وإمّا رجل مكبّ على المعاصي؛ فإنّي لم أكن أُقويه على مَعاصي الله.

[صفة الصفوة].

حوّله إلى منزلي

قال عليُّ بن بكّار رحمه الله: شكا رجلٌ إلى إبراهيم بن أدهم كَثرةَ عياله!!

فقال إبراهيم: يا أَخي! انظر كلّ مَن في مَنزلك ليس رِزقهُ على الله؛ فحوِّلْهُ إلى منزلي. [تاريخ دمشق].

---

١) عيلة؛ أي: فقراء.

ما قُدِّرَ يأتيك

دخل عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه **المسجدَ**، وقال لرجل -كان واقفاً على باب المسجد-: امسك بَغلَتي! فاخذَ الرَّجلُ لجام البَغلة وتركها، فخرج عليٌّ من المسجد، وفي يده درهمان ليكافئهُ؛ فوجدَ البَغلة بغير لجام، فركبها ومضى.

ثم دفعَ لغلامهِ دِرهمين ليشتري بهما لجاماً جديداً، فلمّا ذهبَ الغلامُ للسّوق؛ وجدَ اللجامَ في السُّوق، وقد باعَهُ السَّارقُ بدِرهمين؛ فأخذه بالدِّرهمين.

فقال عليٌّ: إنَّ العبدَ ليحرم نفْسهُ الرِّزقَ الحلالَ بترك الصَّبر، ولا يزدادُ على ما قدر له. [ربيع الأبرار].

لا تحرصن فالحرصُ ليس بزائدٍ ... في الرّزق بل يَشقي الحريصُ ويتعبُ
كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقُهُ ... رغداً ويُحرَمُ كيّسٌ ويُخَيَّبُ

ستر الأعراض

يا الله ما أجملَ هذا الدِّين! وما أجملَ تعاليمه السّامية وأخلاقه النَّبيلة! ومنها: السّتر على الآخرين، وعدم فضحهم، فهي عبادةٌ وقُربى إلى الله، ومُروءةٌ ونخوة.

ما أحوجنا لطرق هذا الباب في زمن قلَّ فيه السّتر، وكثر فيه من يَفتخر بفضح النّاس، وتتبع عوراتهم؛ حتّى في بُيوتهم!!

ومما يَحزُّ في النَّفْس أنَّ أهلَ الاستقامة ما سَلِموا من هذه العثرة؛ فتجدُ من يَفرحُ إنْ وقعَ داعية في خطأ، أو سقطَ عالم بزلة، فيطيرُ بها طيران الرَّخم، ويسقطُ سقوطَ الغُراب على الجيَف!

فهم يقتَفُونَ الهنّات، ويُفتِّشونَ عن الزّلات، **ويَتصيدونَ في الماء العَكر، ولربما عكَّروا الماء ليصتادوا فيه، فحسبنا الله ونِعم الوكيل!**

✓ **عند كلامهِ عن الجرح والتَعديل في رواة الأحاديث؛ قال ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أعراضُ المسلمين حفرةٌ من حُفر النَّار، وقفَ على شفيرها طائفتان من الناس: المحدِّثون، والحُكام) [الاقتراح في فن الاصطلاح].

كما تدين تدان

✍ **قال الحسن البصريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (من رَمَى أخاهُ بذنب -قد تاب منه- لم يَمت حتى يُصيبَ ذلكَ الذَّنب) [البداية والنهاية].

✍ **وقال بكر بنُ عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا رأيتُم الرَّجلَ مُوكَلاً بعيُوب النَّاس، ناسياً لعيبِهِ؛ فاعلموا أنّه قد مُكِرَ بهِ) [صفة الصفوة].

نكتب بماء الذّهب

وعلى صفحات الخُدود؛ تلك الكلمات التي ذكرها الإمامُ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «إحياء علوم الدِّين» فقال:

(**قال بعضُ السَّلف:** أَدْرَكنا السَّلفَ الصَّالح وهم لا يَرونَ العبادةَ في الصّوم، ولا في الصَّلاة؛ ولكن في الكَفِّ عن أَعراض النَّاس).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أدركتُ بهذه البلدة[1] أَقواماً لم تكن لهم عُيوب؛ فعابوا النَّاسَ، فصارت لهم عيوب! وأدركتُ بها أقواماً كانت لهم عُيوب؛ فسكتوا عن عُيوب النَّاس، فنُسيَت عيوبُهم) [الضوء اللامع].

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُنّا نُحَدَّثُ أنَّ أكثرَ النَّاس خطايا؛ أفرغهم لذِكر خَطايا النَّاس) [الصمت].

قال ابن حبّان رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَن اشتغلَ بعيوب النّاس عن عيوب نفسه؛ عمي قلبه، وتعب بدَنه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفْسه، وإنّ من أعجز النّاس مَن عابَ النّاسَ بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، **من عاب النّاس عابوه**) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء].

قال علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا تسخر، ولا تستصغر، ولا تهزأ بالناس؛ فلا تعلَمُ كيف سيكون حالُك غداً).

---

[1] أي: المدينة النبويّة.

✍ **قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(من تسَلَّطَ على نَشر عُيوب النَّاس وتَتبّعِ عوراتِهم؛ سَلَّطَ اللهُ عليه من يَنشرُ عُيوبَهُ، ويَتتبّعُ عورتَه).

✍ **وقال سلمان بن فهد العودة:**

(وقد جرّبتُ هذا غير مرّة في قراءتي لأحداث جرت من حولي؛ فوجدتُ أنّ من يلحّ على إيذاءِ النّاس وبَهتِهم والوقيعةِ فيهم؛ لا يطولُ به وقتٌ حتى يَقَعَ له ما يُوجب أنْ يَتسلَّطَ عليه بعض مَن حولَهُ، ويَفعلونَ فيه نظيرَ ما فعلَ هو بغيره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ والجزاءُ من جنس العمل) [شُكراً أيها الأعداء].

إذا شئتَ أن تحيا سَليماً من الأذى ... وذنبُكَ مغفورٌ وعِرضكَ صيّنُ
لسَانَكَ لا تَذْكُرْ به عورةَ امرئٍ ... فكلُّكَ عوراتٌ وللناسِ ألْسُنُ
وعينكَ أن أبدتْ إليكَ مساوئاً ... فصُنها وقلْ يا عينُ للناس أعيـنُ

مِنَ الرِّجال رجال

✍ **قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(بَلَغني عن القاسم بن محمد كلمة أَعجبتني؛ **وذاكَ أَنَّه قال:**

مِن الرِّجال: رجالٌ لا تُذكَر عيوبُهم) [التاريخ لأبي زرعة الدمشقي].

✍ **وقال محمَّد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ظلمٌ لأخيك أنْ تذكرَ منه أسوأ ما تَعلَمَ منه، وتَكتُمَ خيرَه) [البداية والنهاية].

إحساس مُرهف!

هكذا هي الأخلاقُ؛ ترتقي بأصحابها إلى أعلى الدَّرجات، وتسمو بأرواحهم لتُحلِّق عَالياً في سماءِ الفضائل والمروءات، فصاحبُها إحساسهُ مُرْهف، وذوقهُ رفيع، ومشاعرهُ فيّاضة.

✍ **جاء في كتاب «الطبقات السَّنيَّة في تراجم الحنفية» عند ذِكْرِ حاتم بن إسماعيل الأصم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(والسببُ في تسميته بالأصم: أنَّ امرأةً جاءت إليه تسأله عن مسألة؛ فاتفقَ أنّه خَرجَ منها في تلك الحالة صوتٌ، فخجِلت.

فقال حاتم: **ارفعي صوتَكِ! وأراها من نفْسِهِ أنّه أَصم.**

فسُرّت المرأةُ بذلك، وقالت: إنّه لم يسمع الصوت.

فغلب عليه اسمُ: الأصم).

يا الله!

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ومن العَجَب! أنَّ الإنسانَ يَهُونُ عليه التَّحفُّظُ والاحتِرَازُ من أَكْلِ الحرام، والظُّلم، والزِّنا، والسَّرقة، وشُرب الخمر، ومن النظَر المحرَّم، وغيرِ ذلك، **ويَصعبُ عليه التَّحفُّظُ من حَرَكة لسانِه؛ حتى ترى الرَّجلَ يُشارُ إليه بالدِّين والزُّهدِ والعبادةِ**، وهو يَتكلَّمُ بالكلمات من سَخَط الله لا يُلقي لها بالاً؛ يَزِلُّ بالكلمة الواحدة منها أبْعَدَ مما بين المشرق والمغرب!

وكم ترى مِن رجلٍ مُتورِّعٍ عن الفَواحِش والظُّلم؛ ولسانُهُ يَفري في أَعرَاض الأحياءِ والأموات، ولا يُبالي ما يقولُ!) [الداء والدواء].

المؤمن

قال **الفُضيلُ بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: (المؤمن يستر ويَعِظُ ويَنصح، والفاجرُ يَهتِك ويُعيِّر ويُفشي) [حلية الأولياء].

قال **ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا أَرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً؛ جعَلَه مُعتَرفاً بذنبِهِ، مُمسكاً عن ذنب غيرِه) [الفوائد].

وجاء في كتاب «الحلية»: أن عبد الله بن محمَّد الكوّاء قال للربيع:

ما نَراك تَعيبُ أحداً ولا تذمّه؟

فقالَ: ويلك يا ابن الكوّاء! ما أنا عن نفسي براض؛ فأتفرّغ من ذنبي إلى ذمّ الناس!

إنّ النّاسَ خافوا الله تعالى على ذُنوب النّاس، وأمِنوه على نفُوسِهم.

لا تُظهر الشماتة فتبتلى

قال لقمان لابنه:

(يا بُنيَّ، إذا رأيتَ الخاطئ فلا تُعَيِّرْهُ واذْكُرْ ذُنُوبَكَ، فإنّما تُسأل عن عَمَلِك) [إيقاظ أولي الهمم العالية].

حُبس ابنُ سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ آخر حياته بدَينٍ رَكِبَهُ، فقال: (عَيّرتُ رجلاً فقلت: يا مُفلس! فأفلستُ بَعد أربعين سَنة) [صيد الخاطر].

ومن الأقوال الجميلة -ولا يَصِحُّ مَرفوعاً للنبيِّ ﷺ-: (لا تُظْهِر الشماتَةَ لأخيك؛ فيعافيَهُ اللهُ ويبتليك!) [السّلسلة الضّعيفة].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(لو سَخِرتُ مِن كلب؛ لخشيتُ أنْ أُحوّلَ كلباً) [الفوائد].

الاستخفاف بالآخرين

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من استخَفَّ بالعلماءِ ذَهَبَتْ آخرتُهُ، ومن استخَفَّ بالأمراء ذَهَبَتْ دُنياهُ، ومن استخَفَّ بالإخوان ذَهَبَتْ مروءتهُ) [سير أعلام النبلاء].

مروءة وشهامة

❁ قال أحمد بنُ مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاءتني امرأةٌ ببغدادَ ليلة من الليالي؛ فذكرت أنّها من بنات النَّاس، وأنها امتُحِنت بمِحنة، وأسألك بالله أنْ تَسترني!!

فقلتُ: وما محنتُك؟

قالت: أُكرهت على نفسي وأنا حُبلى، وقُلتُ: إنّك زوجي، فلا تفضحني!!

فنكبتُ عنها ومضيتُ، فلم أشعر حتّى جاء إمامُ المحلة [الحيّ] والجيران يُهنئوني بالولد الميمون! فأظهرتُ التهليل [السّرور]، ووزنتُ في اليوم الثاني للإمام دينارين؛ وقلتُ: أعطِها نفقة؛ فقد فارقتُها، وكنتُ أُعطيها في كلِّ شهر دينارين، حتّى أَتى على ذلك سنتان، فمات الطفلُ، وجاءني النَّاس يُعزوني؛ فكنتُ أُظهرُ لهم التَّسليم والرِّضى.

فجاءتني المرأةُ بَعد أيام بالدَّنانير فردّتها، ودعت لي.

فقالت: سترك الله كما سترتني! فقلتُ: هذه الدّنانير كانت صِلةً للولد، وقد ورثتيه، وهو لك. [سير أعلام النبلاء، والمنتظم].

إني لتُطرِبُني الخِلالُ كريمةً ... طرَبَ الغَريبِ بأوبةٍ وتَلاقي
وتهزُّني ذِكرى المروءَةِ والنَّدى ... بين الشَّمائل هِزَّةَ المشتاقِ

❖❖ **بَعدَ هذه القصة وهذا الخبر..** ماذا يَقولُ من يَنشر الشائعات ويُغرِرُ بالعفيفات ويفضحهنَّ، ويَتصيَّد بنات المسلمين، ويَتحرَّشُ بالطّاهرات، وينشرُ صوراً وأخباراً عن علاقته ومغامراته مع ضحاياه؟!!

الشاعر الفرزدق

قال الحسنُ البصريُّ للفرزدق -الشاعر المعروف-:

(إنَّ لـ: (لا إله إلا الله) شُروطاً؛ فإيّاكَ وقذف المحصنة)

[جامع العلوم والحكم]

دقّ أضلاعي

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إني لأُريدُ شُربَ الماءِ؛ فيَسبقني الرَّجل إلى الشربة، فيسقينيها فكأنَّما دَقَّ ضِلعاً من أضلاعي؛ لا أقدر على مكافأته).

[حلية الأولياء]

قال عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(جالِسوا أهل الدِّين من أهل الدُّنيا، ولا تُجالسوا غيرهم، فإنْ كُنتم لا بُدَّ فاعلين؛ فجالسوا أهلَ المروءات، فإنّهم لا يَرفثون[1] في مجالسهم).

[أسرار خزانة المكتبة التراثية].

---

[1]) فُحش الكلام.

الأخلاق

✍ **أوضح ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأمر حين قال:**

(الدِّينُ كلُّه خُلُق فمن زاد عليك في الخُلق؛ زادَ عليك في الدِّين).

[مدارج السالكين].

✍ **صحبَ ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ رجلاً سيئ الخُلق في سَفر،** فكان يحتملُ مِنهُ ويُداريه، فلمّا فارقهُ؛ بكى –ابنُ المبارك– فقيلَ لهُ في ذلك!

فقال: بكيتُه رحمةً له، فارقتُهُ وخُلُقُهُ مَعهُ لم يُفارقهُ.

[إحياء علوم الدِّين].

✍ **قال المثنى بن حارثة لشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(لأنْ أموتَ عَطشاً؛ أحبّ إليَّ مِن أنْ أُخلف مَوعداً).

[بهجة المجالس وأُنس المجالس].

أُحبُّ مكارمَ الأَخلاق جَهدي ... وأَكرهُ أنْ أَعيبَ وأن أُعابا

وأَصفحُ عن سِباب النَّاس حلماً ... وشرُّ النَّاس من يهوى السّبابا

ومَـن هـابَ الرِّجالَ تَهيّبـوهُ ... ومَـن حَقر الرِّجال فلن يُهابـا

ومَن قضت الرِّجالُ له حقوقـاً ... ولم يقض الحقـوقَ فما أصابـا

التواضع

✍ **وقال ابنُ القيِّم** رَحِمَهُ اللهُ:

(من تطاول تَعظّماً حَطَّه الله، ومن تواضع تَخشّعاً رَفَعَهُ الله) [الفوائد].

✍ **قال الشّافعي** رَحِمَهُ اللهُ:

(التّواضع مِن أخلاق الكِرام، والتّكبر مِن شيم اللِّئام، التّواضع يُورث المحبَّة، والقناعة تورث الرّاحة) [السير].

✍ **قالت عائشةُ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (إنّكم لتغفلون عن أفضل العبادات: التّواضع) [إحياء علوم الدِّين].

✍ **ويُحذِّرك الرّطيان في «وصاياه» بقوله:**

(انتبه يا ولدي؛ الكبيرُ يتواضع.. الوضيعُ يتكبّر).

✍ **قال ذو النون** رَحِمَهُ اللهُ: (دوام الفقر إلى الله مع التخليط؛ أحب إليَّ من دوام الصَّفاء مع العُجب) [طريق الهجرتين].

✍ **قال أبو حاتم** رَحِمَهُ اللهُ: (ما رأيتُ أحداً تكبَّرَ على مَن دُونَهُ؛ **إلا ابتلاهُ اللهُ بالذِّلة لمن فوقَهُ ...**

وقال: ما استُجلبت البُغضة بمثل التّكبر، ولا اكتُسبت المحبَّةُ بمثل التواضع، ومَن استطالَ على الإخوان؛ فلا يَثِقنَّ مِنهم بالصّفاء، ولا يجب لصاحب الكِبر أنْ يطمعَ في حُسن الثناء، ولا تكادُ ترى تائهاً[1] إلا وضيعاً) [روضة العقلاء].

---

[1] متكبراً.

الإمامُ أحمد

✍ جاء في كتاب «مناقب الإمام أحمد»..

☜ قال إسماعيل بن إسحاق الثقفي:

قلتُ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل -أوَّلَ ما رَأيتُه-:

يا أبا عبد الله، ائذَن لي أُقبل رأسك.

فقال: لم أبلغ أنا ذلك!!. [مناقب الإمام أحمد].

☜ وقيل لأبي عبد الله: جزاك الله عن الإسلام خيراً.

فقال: لا، بل جزى الله الإسلامَ عنّي خَيراً.

ثم قال: ومَن أنا؟ وما أنا؟

إنّ كريمَ الأصلِ كالغُصن كُلّما ازدادَ من خير تواضعَ وانحنى

رحم الله امرأ عَرَفَ قدْرَ نفسه

✍ بلغ عمرَ بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أنّ ابنه اشترى خاتماً بألف درهم، فكتبَ إليه:

أمّا بَعد؛ فقد بَلغني أنّك اشتريتَ خاتماً بألف درهم؛ فبِعهُ، وأشْبِع منه ألف جائع، واتخذ خاتماً مِن حديد بدرهمين، واكتُب عليه:

(رحمَ اللهُ امرأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسه). [سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز].

ورأى محمَّد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ ولَدَه يَختال؛ فدعاهُ، وقال:

(أتدري من أنتَ؟

أمّا أُمّك؛ فاشتريتُها بمائتي درهم، وأمّا أبوك؛ فلا أَكثرَ اللهُ في المسلمين مثله) [الإحياء].

وللعلم؛ محمّد بن واسع -هذا- ذَكَرهُ الإمامُ الذَّهبي في «السِّير» فقال:

(الإمام الرَّباني القدوة.. أحد الأعلام، **وقال أحمد العجلي:** ثقة عابد صالح.

وقال ابن شوذب: إذا قيل: من أفضلُ أهل البَّصرة؟ قيل: محمّد ابن واسع.

وقال سليمان التيمي: ما أحدٌ أُحِبُّ أنْ ألقى الله بمثل صحيفته مثل محمد بن واسع، وكان الحسن البَصري يُسمّيه: زَينُ القُراء).

مَلأى السَّنابل تَنحني بتواضع والفارغاتُ رؤوسهُنَّ شوامخُ

الحِلمُ

✍ **قال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: (الحِلمُ غِطاءٌ ساتر، والعقلُ حُسامٌ باتر، فاستر خُلُقَكَ بحلمِكَ، وقاتل هواكَ بعقلك).

✍ **خاصمَ رجُلٌ الأحنفَ بنَ قيس** رحمه الله، **وقال له:** لئن قلتَ [كلمة] واحدة؛ لتسمعنَّ عشراً!

فقال الأحنفُ: لكنّك إنْ قلتَ عشراً؛ لم تسمع منّي واحدةً. [السير].

✍ **وكرّر الأحنفُ هذا المعنى قائلاً:** (مَن لم يَصبر على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ، ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعتُهُ؛ مخافة ما هو أشدُّ مِنه) [عيون الأخبار].

✍ **قال ذو النون المصري** رحمه الله: (ثلاثةٌ من أعلام الكمال: وزنُ الكلام قَبل التفوّه به، ومجانبةُ ما يُحوج إلى الاعتذار، وتركُ إجابة السَّفيه حِلماً عنه) [ففروا إلى الله].

✍ **قال الحسن بن علي** رضي الله عنهما: (لو أنَّ رجلاً شَتمني في أُذني هذه، واعتذرَ في أُذني الأخرى؛ لقَبِلتُ عُذْرَهُ) [الآداب الشرعية].

✍ **قال خَالِد بن صَفْوَان:** شهِدتُ عَمْرو بن عبيد، وَرجلٌ يَشتِمُهُ، فَمَا ترك شَيئاً، فَلَمَّا فرغ؛ **قالَ لَهُ عَمْرو:** آجرَكَ اللهُ على مَا ذكرتَ من صَوَاب، وَغفر لَك مَا ذكرت من أخطاء.

قال خالد: فَمَا حَسدتُ أحداً حَسدي على هَاتين الْكَلِمَتَيْنِ.

[الجوهر النفيس في سياسة الرئيس]

قيلَ لي قد أسى عليك فلانٌ ... ومقامُ الفتى على الذُّلِّ عارُ
قُلتُ قد جاءني وأحدثَ عُـذراً ... دِيةُ الذَّنب عـندنا الاعتــذارُ

الصَّبر

✓ **قال عمر بنُ الخطّاب** رضي الله عنه: (أفضلُ عَيش أدْركنَاهُ بالصَّبر، ولو أنَّ الصّبرَ كانَ مِن الرِّجال كانَ كريماً) [تسلية أهل المصائب].

✓ **قال الحسنُ البَصريُّ** رحمه الله: (الصَّبرُ كَنزٌ مِن كُنوز الخير، لا يُعطيه اللهُ إلا لعبدٍ كريم عِنده) [تسلية أهل المصائب].

✓ **قال الإمام الغزاليُّ** رحمه الله: (اعلم أنَّ الصَّبرَ مَقامٌ مِن مَقامات الدِّين، ومنزلٌ مِن مَنازل السَّالكين) [إحياء علوم الدِّين].

✓ **وسُئل الجنيدُ عن الصّبر؟ فقال:** (تجرّع المرارة مِن غير تَعبّس) [تسلية أهل المصائب].

> **قيل:** (الجَزعُ لا يَردُّ الفائت، ولكن يَسرُّ الشَّامِتَ).

✓ **قال إبراهيم الحربي** رحمه الله: (ما شكوتُ إلى أُمّي ولا إلى إخوتي، ولا إلى امرأتي، ولا إلى بناتي –قط– حُمى وجدّتُها، **الرَّجل هو الذي يُدخل غمَّه على نفْسه، ولا يَغمُّ عياله**، كان بي شقيقة خمساً وأربعين سَنة ما أخبرتُ بها أحداً قطّ، ولي عَشرُ سنين أُبصرُ بفرد عين ما أخبرتُ به أحداً) [تاريخ بغداد].

✓ **قال ابن القيّم** رحمه الله: (فكم لله مِن نعمةٍ جسيمةٍ، ومِنّةٍ عظيمةٍ؛ تُجنى مِن قُطوف الابتلاء والامتحان) [مفتاح دار السعادة].

✓ **وذَكَرَ الثَّوْرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ قال:** (ثَلَاثٌ مِن الصَّبْرِ: ألا تُحَدِّثَ بِوَجَعِكَ، ولَا بِمُصِيبَتِكَ، ولَا تُزَكِّيَ نَفْسَكَ) [تفسير ابن كثير].

✓ **قال ابن الجوزي** رحمه الله: (من تذكّر حلاوة الْعَاقِبَة، نسي مرَارَة الصَّبْر) [المدهش].

✓ **قال شقيق البلخي** رحمه الله: (من شكا مُصيبةً به إلى غير الله، لم يجد في قلبِهِ لطاعة الله حلاوةً أبداً) [منهاج القاصدين].

الوفاء

في زمن العجائب

ما أحوجنا للوفاء مع الآخرين؛ ممن لهم حقٌّ علينا: الوالدين.. الزّوج.. الزّوجة.. الأصدقاء.. المعلم.. المربي... إلخ.

✍ **قال الشّافعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (المؤمنُ من راعَ وداد لحظة، وانتمى لمن أَفاده لفظة) [شُكراً أيّها الأعداء].

✍ **وقال شعراً:**

وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الأَهْوَالِ جَلْداً وَشِيمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالوَفَاءُ

✍ **قيل:** (ليس عليك أن تردَّ الجميلَ، ولكن إيّاكَ أن تُنكرَهُ).

✍ **يقول محمود شاكر:** (حفظ الجميل؛ أدب لا ينبغي التهاون فيه).

رواية وقصة

✍ **ذكر الإمامُ الغَزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ **رواية عن بعض الصَّالحين: أنَّه أرادَ طلاقَ امرأته؛ فقيل له:** ما الذي يُريبُك فيها؟

فقال: العاقلُ لا يَهتِكُ سِترَ امرأتِهِ.

فلما طلَّقَها، قيلَ لهُ: لم طلَّقتَها؟!

فقال: مالي ولامرأةِ غَيري! [إحياء علوم الدِّين].

قيل: (إذا خانتكَ قيمُ المبادئ، فحاول أنْ لا تَخونكَ قيمُ الرُّجولة).

✍ **كان رجل يَزور زوجتَه المريضة عقليًّا في المستشفى**، ويُحضِر لها أَغلى الهدايا، فقال له من كان هناك: إنها لا تعرفُ قيمتَها!

فقال الزَّوجُ: ولكنّي أعرفها -يعني: أنه يعرف قيمة وقدْر زوجته-.

الكذب

✍ **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه :

(لأنْ يَضعني الصدقُ؛ أَحبّ إليَّ من أنْ يَرفعني الكذب).

✍ **وقال عمر بن عبد العزيز** رحمه الله:

(ما كَذبتُ مُنذ عَلِمتُ أنّ الكذبَ يَضرُّ أهلهُ) [السير].

✍ **وقال مُطرف بن عبد الله** رحمه الله:

(ما يَسرّني أني كذبتُ كذبةً، وأنَّ لِيَ الدُّنيا وما فيها) [السير].

لا يَكذبُ المرءُ إلاّ مِن مَهَانَتِهِ ... أو عادةِ السّوء أو مِن قِلَّة الأدبِ

لَبْعضُ جيفةِ كلبٍ خيرُ رائحةٍ ... مِن كذبةِ المرءِ في جدٍّ وفي لعبِ

انتفاضة الإمام الزهري

كان مجموعة من العلماء في مجلس الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكان الحديثُ عن حادثة الإفك، وكان الخليفة يَدَّعي أنّ الذي تولّى كِبر الإفك هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان كُلّما سأَلَ عالماً، فأجاب بخلاف دعواه، قال له: كذبتَ.

ولما وجَّه الخليفةُ السؤالَ إلى الإمام محمّد بن شهاب الزُّهريّ؛ قال الزُّهريُّ: إن الذي تولّى كِبرهُ هو عبدُ الله بنُ أُبيٍّ بن سَلول.

فقال هشام: كذبتَ!

فانتفض الإمام الزهري رحمه الله، **وقال: أنا أكذب، لا أبَ لك، والذي لا إله إلا هو لو نادى منادٍ من السّماء: أن الكذبَ حلال، ما كذبتُ.**

الحسد

✍ **قال الأصمعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** رأيتُ أعرابياً قد أتت عليه مائةٌ وعشرون سَنة!

فقلتُ له: ما أطول عُمرَك؟

قال: تركت الحسد؛ فبقيتُ. [ربيع الأبرار].

إذا ما شئتَ أنْ تحيى ... سَليماً طيِّب المُحيّا

فلا تغضب ولا تحسد ... ودَارِ النَّاس في الدُّنيا

✍ **قال أبو حاتم بنُ حِبان رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(الحسدُ من أخلاق اللئام، وتَركُهُ من أفعال الكِرام، ولكلّ حَريق مُطفئ، ونارُ الحسدِ لا تُطفأ) [روضة العقلاء].

المرض الذي لا أجر فيه

قال الدكتور عائض القرني:

(يا للحَسد مِن مَرضٍ لا يُؤجرُ عليهِ صاحِبُه، ومِن بلاءٍ لا يُثابُ عليه المُبْتَلَى به، وسوفَ يَبقى هذا الحاسدُ في حُرقةٍ دائمةٍ حتى يَموت، أو تذْهَبَ نِعمُ الناسِ عنهم) [لا تحزن].

الحاسد عاصي

✍ **قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ:** (الحسدُ أوّل ذنبٍ عُصي الله ﷻ به في السّماء [يعني: لما حَسدَ إبليسُ آدمَ] وهو أوَّل ذنب عُصي الله ﷻ به في الأرض، [يوم حَسدَ ابنُ أدم أخاه فقتله]) [المجالسة].

✍ وقال عائض القرني في كتابه «لا تحزن»:

(بليَّةُ الحاسِدِ أنهُ خاصمَ القضاءَ، واتّهم الباري في العدْلِ، وأساء الأدب مع الشَّرعْ، وخالف صاحبَ المنْهجِ).

علاج الحسد

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (مَن أكثرَ ذِكرَ الموت؛ قلَّ فرحه، وقلَّ حسده) [الحلية].

● ووصفَ السَّرخسيُّ رحمه الله علاجاً آخر؛ فقال: (دواء ترك الحسد هو: الزُّهدُ في الدُّنيا) [تنبيه المغترين].

● وقالوا: (من أصلحَ فاسدَهُ؛ أرغم حاسِدَهُ).

● يقول أبو حيان التوحيدي رحمه الله:

(عذّب حُسَّادكَ بالإحسان إليهم).

الجدل

قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما:

(لا تُجادل بَليغاً، ولا سَفيهاً، فالبَليغُ يَغلبكَ، والسَّفيهُ يُؤذيكَ).

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد رحمه الله:

(ما بَرحَ مَن أدركنا مِن أهل الفقه والفضل -من خيار أوّلية النّاس-؛ يَعيبونَ أَهلَ الجَدل والتّنقيب والأخذ بالرّأي، ويَنهونَ عن لقائهم ومجالستهم، ويحذرون مقاربتهم أشدَّ التّحذير) [جامع بيان العلم وفضله].

كان الحسن البصري رحمه الله إذ سمع قوماً يتجادلون يقول:

(هؤلاء ملّوا العبادة، وخَفَّ عليهم القولُ، وقلَّ ورعهم فتكلَّموا).

[حلية طالب العلم].

قال معروف الكرخي رحمه الله:

(إذا أرادَ اللهُ تعالى بعبدٍ خيراً؛ فَتحَ عليه بابَ العمل، وأغلق عنه بابَ الجدل، وإذا أرادَ بعبدٍ شرّاً؛ أَغلقَ عليه بابَ العمل، وفَتحَ عليه بابَ الجدل) [الحلية].

قال خالد بن معاوية رحمه الله:

(إذا كان الرَّجلُ لجوجاً مُمارياً مُعجباً برأيه؛ فقد تمَّت خسارته) [السير].

وقال مالك بن أنس رحمه الله:

(المراءُ والجدالُ في العلم؛ يَذهبُ بنور العلم من قلبِ العبد).

[ترتيب المدارك/ ١/ ٥١].

لا تعترض

في الأغلب تجد الجدَلي وكثير الاعتراض؛ إمّا قليلَ علم، أو عديمَ تقوى، أو كلاهما.

● **قال الشّاطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما تُوفي شيخنا الأستاذ الكبير العَلَم الخطير أبو عبد الله محمد بن الفخار؛ سألتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يُريني فيه في النّوم، فيُوصيني بوصيةٍ أنتفعُ بها في الحالة التي أنا عليها من طلب العلم.

فلما نِمتُ تلك الليلة؛ رأيتُ كأنّي داخلٌ عليه في دارِهِ التي كان يَسكن بها، فقلتُ له: يا سيّدي أَوصني؟!

فقال لي: لا تَعترض على أَحد) [الإفادات والإنشادات].

وليس المعنى: أنْ لا نعترض على الباطل والحرام؛ بل المرفوض.. الاعتراض بغير حقٍّ، أو على أَمر فيه سعة.

● **وقد قيل:** (من قلَّ اطِّلاعه كثُرَ اعتراضه، ومن كثُر اطِّلاعه قلَّ اعتراضه).

> **قالت عائشةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **(ما أسرعَ النّاس إلى أنْ يَعيبوا ما لا علم لهم به)** رواه مسلم.

نصيحة

هي حكمة.. هي كنزٌ.. قل ما شئتَ، وقفتُ عندها كثيراً، وتأمّلتُها جيداً؛ فألفيتُها تَصلُحُ لكلِّ زمانٍ ومكان، ويَنبغي أنْ نتعلَّمَها ونُعلِّمَها للنّاس؛ لنفاسَتِها وقيمتِها؛ ألا وهي:

(لا تُجادل الأحمق؛ فقد يُخطئ النّاسُ في التّفريق بينكما!).

حكمة من التاريخ

لما سُئل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عن معركة صِفِّين، والخلاف الذي وقعَ بين علي بنِ أبي طالب ومعاوية بنِ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدرك أنّ الحديث لا طائل منه؛ بل هو شرٌّ محض **فقال:**

(تلك دماءٌ عصمَ الله منها سيوفَنا، فلنعصم منها ألسنتَنا).

فلسفة زائدة

مِن النّاس مَن تُشغله الفلسفات والأسئلة الهامشية عن حقائق الأُمور ومقاصِدِها، ويَنشغلُ ببُنيَّات الطَّريق عن سُلوك جادَّتِها.

لمّا سَألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ عن السَّاعة؟ أَرشدَهُ ﷺ وعلّمهُ أنْ يهتمَّ بما يحتاجه إنْ قامت السّاعة؛ فقال له ﷺ:

«ويلك! وما أعددتَ لها؟» متّفق عليه.

أُحبُّ ولا أُحبُّ

قال رجلٌ عند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أُحبّ أنْ أكونَ من أصحاب اليمين؛ أُحبّ أنْ أكون من المقرَّبين.

فقال ابنُ مسعود: لكن ها هنا رجل ودّ أنّه إذا ماتَ لم يُبعث -يعني: نَفْسَهُ-. [الفوائد].

طُوبى لهاتين العينين

قال جُبير بنُ نُفير رَحِمَهُ اللَّهُ:

جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي الله عنه يوماً، فمرَّ به رجلٌ؛ **فقال:** طُوبى لهاتين العينين اللَّتين رأَتا رسولَ الله ﷺ، والله لوَدَدْنَا أنَّا رأَينا ما رأَيْتَ، وشهدنا ما شهدتَ! فاستغضب المقداد!

فجعلتُ أَعجبُ، ما قال الرَّجل إلا خيراً!

ثم أقبل المقداد إلى الرَّجل فقال: ما يَحملُ الرَّجلَ على أنْ يَتمنّى محضراً غيَّبه الله عنه، ما يَدري لو شَهِده كيف كان يكون فيه؟

والله! لقد حَضَرَ رسولَ الله ﷺ أقوامٌ كبَّهمُ اللهُ على مناخرهم في جهنَّم، ولم يجيبوه، ولم يُصدّقوه.

أَوَلا تحمَدون الله إذ أَخرَجَكم لا تَعرِفون إلا ربّكم، مُصدِّقين بما جاء به نبيّكم ﷺ، ولقد كُفيتم البلاءَ بغيركم.

والله! لقد بُعثَ النبيُّ ﷺ على أَشدِّ حال بُعثَ عليها نبيٌّ من الأنبياء في فترةٍ جاهليةٍ، ما يَرون أنَّ ديناً أفضلَ من عبادة الأوثان، فجاءَ بفُرقان فرَّق بهِ بين الحقِّ والباطل، وفرَّق بين الوالد وولده.

وإن كان الرَّجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً، وقد فَتَحَ اللهُ قفل قلبِه للإيمان، يعلمُ إنْ هلكَ دخل النّار، فلا تَقرُّ عينُه؛ وهو يَعلَمُ أنَّ حبيبَهُ في النَّار! وإنّها للّتي **قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [صفة الصفوة].

إغاثة اللهفان

✍ **قال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: (أَشدُّ الأعمال ثلاثة: إعطاءُ الحقِّ من نفسك، وذِكرُ الله على كلِّ حال، ومُواساة الأخ في المال) [الحلية].

✍ **وقال أيضاً**: (من كفّارات الذُّنوب العِظام؛ إغاثة الملهوف، والتّنفيس عن المكروب) [التذكرة الحمدونية].

✍ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: (إنّ لله عِباداً يَستريحُ النَّاسُ إليهم في قضاء حوائجهم وإدخال السُّرور عليهم؛ أولئك هم الآمنون من عذاب يوم القيامة) [فضائل في أبواب الجور].

✍ **وقال** رضي الله عنه **أيضاً**: (لأنْ أَعولَ أهلَ بيت من المسلمين شهراً أو جُمعة، أو ما شاء الله؛ أحبّ إليَّ من حجَّة بعد حجَّة، ولطَبق بدانق[1] أُهديه إلى أخ لي في الله عز وجل؛ أحبّ إليَّ من دينار أُنْفِقهُ في سبيل الله عز وجل) [الحلية].

✍ **قال الحسن البصري** رحمه الله: **(لأنْ أَقضي حاجة لأخ؛ أَحبّ إليَّ من أنْ أَعتكف سَنة)** [المجالسة].

✍ **يقول جعفر بن محمد الصادق** رحمه الله:

(إن لله وجوهاً من خَلْقِه، خَلَقَهم لقضاء حوائج عبادِهِ، يَرونَ الجودَ مجداً، والإفضالَ مَغنماً، والله يُحبُّ مكارمَ الأخلاق) [ربيع الأبرار].

---

[1] الدانق؛ سُدس الدّرهم.

✍ **وقال ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(إنّ للصدقة تأثيراً عَجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم؛ بل كافر، فإنّ اللهَ تعالى يَدْفعُ بها أنواعاً من البلاءِ، وهذا أمرٌ مَعلومٌ عند النَّاسِ خاصَّتِهم وعامَّتِهم، وأهلُ الأرض كلُّهم مُقِرُّون به؛ لأنّهم قد جَرَّبُوه) [الوابل الصيّب].

صور مشرقة وبرّاقة

✍ **قال أبو حمزة الثُّمالي رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كان عليُّ بن الحسين يَحملُ الخبزَ بالليل على ظَهرِهِ، يَتبعُ به المساكين في الظُّلمة، ويقول:

إنّ الصّدقة في سواد الليل تُطفئ غَضَبَ الرَّبِّ) [السير].

✍ **وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ:** (لقد رأَيتُ أقواماً كانت الدُّنيا أَهون على أحدهم من التُّراب تحت قدَميه!

ولقد رأيتُ أقواماً يُمْسي أحدهم وما يجدُ عِنده إلا قُوتاً، فيقولُ: لا أَجعلُ هذا كلّه في بَطني؛ لأجعلنَّ بعضَه لله عَزَّوَجَلَّ، فيتَصدَّقُ ببعضه، وإنْ كان هو أحوج ممن يتصدّق به عليه) [الحلية].

✍ **كان عبدُ الرَّحمن بن أبان بن عثمان رَحِمَهُ اللَّهُ يَشتري أهلَ البيت، ثم يأمر بهم؛ فيُكْسَون ويدهنون، ثم يُعرَضونَ عليه؛ فيقول:**

أنتم أحرارٌ لوجه الله؛ أستعينُ بكم على غَمَرات الموت.

قال الراوي: فمات وهو قائمٌ في مسجده يصلّي السُّبحة[1]. [صفة الصفوة].

---

(١) السُّبحة؛ صلاة الضحى.

✍ وكان زُبيد بن الحارث اليامي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا كانت ليلةٌ مطيرةٌ طافَ على عجائز الحيِّ، ويقول: (ألكم في السُّوق حاجَة؟) [السير].

✍ وكذلك سعيدُ بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ فإنّهُ كان يطُوفُ على عَجائِز الحيِّ، ويقول:

(أَلَكُنَّ حاجةٌ أشتريها لَكُنَّ؟) [مكارم الأخلاق للخرائطي].

الجَنَّة بقميص

قال سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: جاء رجلٌ من أهل الشام؛ فقال: دلوني على صفوان بن سُليم، فإني رأيته دخل الجَنَّة. فقلتُ: بأيِّ شيء؟

فقالوا: بقميص كَسَاهُ إنساناً!!

فسُئل صفوان عن قصة القميص!

فقال: خرجتُ من المسجد في ليلةٍ باردةٍ وإذا برجل عارٍ؛ فنَزعتُ قميصي فكسوتُهُ. [الحلية].

(الإسراعُ في العطاء؛ يَعنى العطاء مرّتين).

عبد الله بن عمر والعبيد

نقل ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنهاية»، عند ترجمته لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آثاراً منها:

❶ أنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كان إذا أَعجبه شيءٌ من ماله؛ يقرِّبهُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وكأنَّ عَبيدَهُ قد عرفوا ذلك منه، فربما لزم أَحدهم المسجدَ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أَعتقَهُ، فيُقالُ له: إنهم يَخدَعونكَ!

فيقول: من خَدَعنا لله انخدعنا له.

❷ **وكان – رضي الله عنه – له جارية**؛ يُحبّها كثيراً، فأعتقها وزوّجها لمولاهُ نافع، وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

❸ **واشترى –مرَّة– خمسة عبيد**، فقام يُصلّي، فقاموا خلفه يُصَلُّونَ.

فقال: لمن صلّيتم هذه الصَّلاة؟ **فقالوا:** لله.

فقال: أنتم أحرارٌ لمن صلّيتم له، فأعتَقهم. [البداية والنهاية٩/ ٤].

مصيبة

قال رجل: كنتُ أَمشي مع سُفيان بن عُيينة إذ أَتاهُ سائلُ فسألَهُ، فلم يكن معه ما يُعطيه؛ فبكى سفيان!

فقلتُ: يا أبا محمَّد! ما الذي أبكاك؟

قال: أيُّ مصيبة أعظم من أنْ يؤمِّل فيك رجلٌ خيراً؛ فلا يُصيبه.

[مختصر منهاج القاصدين].

وأَنشدَ الشافعيُّ رحمه الله:

يا لهفَ نَفْسي على مالٍ أجودُ به ... على المقلّين من أهل المروءات

إنَّ اعتذاري إلى مَن جاءَ يَسألُني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

فقه دقيق

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميّة رحمه الله عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: (مَن طَلَبَ من الفقراءِ الثَّناء أو الدُّعاء؛ فقد خَرجَ من هذه الآية) [مجموع الفتاوى].

ذوق رفيع وأخلاق نبيلة

قال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض إخوانه:

(يا أبا فلان! إذا كانت لك حاجةٌ؛ فلا تُكلّمني فيها، واكتُبها في رُقعة، ثم ارفعها إليَّ؛ **فإني أكره أنْ أرى في وجهك ذلَّ السؤال**) [السير].

طلب ابنُ أخ لمحمَّد بنُ سوقة رَحِمَهُ اللَّهُ منه شيئاً؛ فبكى ابن سوقة، فقال له:

يا عمّ! لو عَلِمتُ أنّ مسألتي تَبْلُغُ منك هذا ما سألتكَ!

فقال محمَّد بن سوقة:

ما بكيتُ لسؤالك؛ إنما بكيتُ لأنّي لم أبتدرك قبل السؤال!

[صفة الصفوة].

أرى نَفْسي تتوقُ إلى أمورٍ ... ويَقْصُرُ دونَ مَبلغهن مالي
فنَفْسي لا تُطاوعني ببخلٍ ... ومالي ليس يبلغه فعالي

احذر

قال عبد الله بن المقفع رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا أَسديتَ جميلاً إلى إنسان؛ فحذار أنْ تذكُرَهُ، وإنْ أَسدى إنسانٌ إليك جميلاً؛ فحذار أنْ تنساهُ).

قال عبد الله بن شداد: (يا بُني.. لا تزهدنَّ في معروف؛ فإن الدَّهر ذو صُروف).

ذمّ البخل

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (البُخلُ جامعٌ لمساوئ العُيُوب، وهو زمامٌ يُقادُ به إلى كلِّ سُوءٍ) [ربيع الأبرار].

قالت أمُّ البَنين -أخت عمر بن عبد العزيز-:

(أفٍّ للبخل، والله لو كان طريقاً ما سلكتُه، ولو كان ثوباً ما لبستُه) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء].

قَال بعضُ الفُصَحاءِ: (جُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إلى أَضْدَادِهِ، وبُخلُهُ يُبَغِّضُهُ إلى أولادِهِ).

قال الشَّاعر:

لأن كانت الأفعالُ يوماً لأهلها ... كمالاً فحُسْنُ الخُلق أَبهى وأكمَلُ
وإنْ كانَتِ الأرزاق رزقاً مُقَدَّراً ... فقلّتُ جُهْدِ المَرْء في الكَسبِ أَجْمَلُ
وإن كانت الدُنيا تُعدُّ نَفِيسة ... فدارُ ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإنْ كانت الأبدانُ للموتِ أُنشئتْ ... فقتلُ امرئٍ بالسّيف في الله أفضلُ
وإن كانت الأموالُ للتّرك جمعها ... فما بالُ متروكٍ به المرءُ يَبخلُ

اللسان.. الصمت والكلام

الصمت

• **قال يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:
(خصلتان إذا رأيتهما في الرَّجل؛ فاعلم أنَّ ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابِساً للسانه، ويحافظُ على صلاته) [الصمت].

• **قال أكثم بن صيفي**: (الصمتُ يُكسبُ صاحبَهُ المحبَّة)[المجالسة].

• **قال حكيمٌ**: (الزم الصمت؛ فإنّه يُكسِبُك المحبَّة، ويؤمّنك سُوء المغبة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويَكفيك مؤنة الاعتذار) [طلائع السلوان].

• **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما حجٌّ ولا رِباطٌ ولا جِهادٌ؛ أَشدّ مِن حَبْس اللسان) [جامع العلوم والحكم].

• **وقال عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الكلامُ كالدَّواء إن أقللتَ منه نفعَ، وإن أكثرتَ منه قتلَ) [المستطرف].

• **قال بعضُ الحكماء**: (لأن يُمسك المرءُ ثوراً هائجاً، أهون من أن يُمسكَ لسانَهُ).

• **وقال مخلد بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما تكلّمتُ بكلمة أُريدُ أنْ أَعتذر منها منذ خمسين سَنَة) [الحلية].

الأحمق

قال إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ: كلّ رجل لا يَعْرِفُ عيبَهُ فهو أَحمق!
قالوا: وما عيبُكَ؟! **قال**: كثرةُ الكلام. [المورد العذب].

قَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: (فَمُ الْعَاقِلِ مُلَجمٌ إذا همَّ بِالكَلَامِ أَحْجَمَ، وفَمُ الجاهلِ مُطلَقٌ كُلَّمَا شاءَ أَطلَقَ) [أدبُ الدُّنيا والدِّين].

اللعن والسبّ

• عن جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وإنْ امرؤٌ شَتَمك وعيّرك بأمر ليس هو فيكَ؛ فلا تُعيّرهُ بأمر هو فيه، ودَعهُ يكون وباله عليه، وأجرهُ لك، ولا تَسُبنَّ أحداً» [صحيح الجامع/ ٩٨].

فقال راوي الحديث جابر: (فما سَببتُ بَعْدَه حُرّاً ولا عَبداً ولا بَعيراً ولا شَاةً) [الصحيحة/ ١١٠٩].

هل رأيت؟! هل سمعت؟! حتّى الحيوانات يُنزِّهون أَلسنتَهم عن لعنها، ويترفّعون عن شتمها.

• قال عاصم بنُ أَبي النجود رحمه الله: (ما سمعتُ أبا وائل شقيق بن سلمةَ سبَّ إنساً قطُّ، ولا بَهيمة!) [السير].

• وقال سعيد بن العاص رحمه الله:

(ما شاتمتُ رجلًا مُنذُ كنتُ رجلاً؛ لأنّي لا أشاتم إلا أَحدَ رجلين: إمّا كريمٌ؛ فأنا أحقُّ مَن أَحتمله، وإما لئيمٌ؛ فأنا أولى مَن رَفَعَ نفْسَه عنه).

[أسرار خزانة المكتبة التراثية].

مِن الكبائر

• قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : (كُنّا إذا رأينا الرَّجل يَلعن أخاهُ؛ رأينا أنْ قد أَتى باباً من الكبائر) [الصحيحة/ ٢٦٤٩].

الإمام أحمد ويزيد

قال صالحُ بنُ أحمد: قُلتُ لأبي: إنَّ قَوماً يُقولُون: إنَّهم يُحبُّونَ يزيدَ!

فقال: يا بُنيَّ! وهل يحبُّ يَزيدَ أَحدٌ يُؤمنُ بالله واليوم الآخِر؟!

فقلت: يا أبتِ، فلماذا لا تلعَنُهُ؟

فقال: يا بُنيَّ! ومتى رأيتَ أباكَ يَلعَنُ أحداً؟! [فتاوى ابن تيمية].

نصيحة من ذهب

• ويقول سلمان العودة في كتابه «شُكراً أيّها الأعداء»:

(ولو أنّ امرَأً شَغلَ نفْسَهُ وحياتَه بسبِّ فرعونَ وهامان وقارون، وأبي جهلٍ وأبي لهبٍ، ورؤوس الكفر والشركِ، فهو يَسُبّهم ويَفضحهم ويَلعنهم؛ لكان مَذموماً مَلوماً على تفْريطِهِ بالطَّاعات، وتَركِهِ للواجبات، وانشغالِهِ عن ذِكر الله تعالى بذِكْر فُلان وفُلان، ولرُبَّما ماتَ مسلمٌ لا يَعرفُ هؤلاء ولم يَسمع بأسمائهم؛ فكانَ من أهل الدّرجات العُلا، وهذا صحَّ عن النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «لا تَسبّوا الأمواتَ؛ فتُؤذُوا الأحياءَ»[١]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «فإنّهم قد أفْضَوا إلى ما قَدَّمُوا»[٢] قالَ: هذا في أبي جهل فرعون هذه الأُمّة[٣]).

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢)، وابنُ حِبّان (٣٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٣) يُنظر «اللُّمع في أسباب ورود الحديث» للسيوطي (ص٤٨).

الغيبة

✍ **قال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه : (الغيبةُ جُهدُ العَاجِز).

[التذكرة الحمدونية].

✍ **سُئِلَ بعضُ الأُدَبَاءِ عَن صِفَةِ اللَّئِيمِ.**

فقالَ: (اللَّئِيمُ إذا غابَ عَابَ، وإذا حَضَرَ اغتَابَ) [أدب الدُّنيا والدِّين].

✍ **قال أبو قلابة الرَّقاشي** رحمه الله: **سمعتُ أبا عاصم يقول:**

(ما اغتبتُ أحداً مُذ عَرفتُ ما في الغِيبة) [تفسير القرطبي].

✍ **قال عبد الله بن المبارك:** قُلتُ لسفيان الثَّوريِّ: يا أبا عبد الله ما أَبْعدَ أبا حَنيفَةَ مِن الغيبة! ما سَمعتُه يغتاب عدواً له قطّ.

قال: هو –والله– أَعقل من أنْ يُسلِّط على حسناته ما يَذهَبَ بها).

[تاريخ بغداد].

✍ **قيل لبعض الصَّالحين:**

لقد وَقَعَ فيك فُلان؛ حتّى أَشفقنا عليكَ ورحمناكَ!

قال: عليه فأشفقوا! وإيّاهُ فارحموا!!

✍ **كان عبدُ الله بنُ أبي زكريا** رحمه الله **لا يَدعُ أحداً يَغتابُ في مجلسه أحداً، ويَقول:**

(إنْ ذكرتُمُ الله أعَنّاكم، وإنْ ذكرتُمُ النَّاسَ تركناكم) [صفة الصفوة].

✍ **وسعيدُ بنُ جُبير** رحمه الله كان لا يَدَعُ أحداً يغتابُ عندهُ.[السير].

✍ **قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(كم أفسدتِ الغيبَةُ من أعمال الصَّالحين، وكم أحبطتْ من أُجور العاملين، وكم جَلَبتْ من سخطِ ربِّ العَالمين. فالغيبةُ فاكِهةُ الأرذلين، وسلاحُ العاجزين، مُضغَةٌ طالما لفظها ألسِنةُ المتّقين، نغمةٌ طالما مجَّها أسماعُ الأكرمين) [التذكرة في الوعظ].

✍ **قال سفيان بن الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ:**

كنتُ جالساً عند إياس بنِ معاوية، فمرَّ رجلٌ، فنِلتُ منه.

فقال إياس: اسكُت.

ثمّ قال لي: سفيان ! هل غزوتَ الرومَ؟

قلتُ: لا.

قال: غزوتَ التُّرك؟ قلتُ: لا.

قال: سَلِمَ منك الرُّومُ، وسَلِمَ منك التُّركُ، ولم يَسلَمْ منك أخوك المسلم؟!

قال سُفيان: فما عُدتُ إلى ذلك بعدُ.

✍ **قال رجلٌ للحسن البَصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** إنَّ فُلاناً قد اغتابَكَ!

فبَعَثَ إليه رُطَباً على طَبَقٍ، **وقال:**

(قد بَلَغني أنّك أَهديتَ إليَّ من حسناتِكَ، فأردتُ أنْ أُكافئكَ عليها، فاعذرني؛ فإنّي لا أَقدرُ أنْ أُكافئكَ على التّمام) [إحياء علوم الدِّين].

هكذا هم النّاس.. دع القافلة تسير...

لمعرفة حقيقة الناس وطبائعهم؛ تدبَّر هذا الخبر مَليّاً، وأَمعن النّظرَ فيه؛ تُدرك الأمرَ جيداً:

✓ قال الرَّبيعُ بنِ صَبيح: قلتُ للحسنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ ها هُنا قوماً يتتَبَّعُونَ السَّقَطَ من كلامِك؛ لِيجِدُوا إلى الوقيعةِ فيكَ سَبيلاً!

فقالَ الحسنُ: لا يَكبُرُ ذلك عليك! فقد أطمَعْتُ نَفْسي في خُلودِ الجِنان؛ فطمِعَت، وأَطْمَعْتُها في جِوارِ الرَّحمن؛ فطَمِعَت، وأطمعْتُها في السَّلامةِ من النَّاسِ؛ فلَم أجِد إلى ذلك سبيلاً؛ لأنّي رأيتُ النَّاسَ لا يَرضُونَ عن خالِقِهِم، فعلمتُ أنّهم لا يَرضُونَ عن مَخلوقٍ مِثلهم. [الحلية].

ولينك نَسْلَم

✓ جاء في «وفيات الأعيان» أنَّ أحمد بن حنبل قال لحاتم الأصم:

أَخبرني -يا حاتم- فيمَ أتخلَّصُ من النَّاس؟

قال: يا أبا عبد الله، في ثلاثة خصال.

قال: وما هي؟

قال: أن تُعطيهم مالَك ولا تأخذ من مالِهم شيئاً، وتَقضيَ حقوقَهم ولا تَستقضي منهم حقًّا، وتحمل مكروههم ولا تُكره واحداً منهم على شيء!!

قال: فأطرق أحمد ينكتُ بأصبعه الأرض، ثم رفعَ رأسَه، وقال:

يا حاتم! إنّها لشديدةٌ!!

فقال حاتم: وليْتَكَ تَسلَم، وليْتَكَ تَسلَم، وليْتَكَ تَسْلَم!

✓ **وهذا ما عناهُ الفضيل بن عياض بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:** (مَن عَرَف النَّاسَ استراحَ) [طبقات الصوفية].

✓ **وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:** (منذُ عرفتُ النّاسَ ما أُبالِي مَن حَمِدنِي، ولا مَن ذمَّني؛ لأنّي لا أرى إلا حامِداً مُفرِطاً، أو ذامًّا مُفَرِّطاً) [الزهد للبيهقي].

✓ **قال مورّق العجلي رَحِمَهُ اللَّهُ:** أَمرٌ أنا في طلبه مُنذ كذا وكذا سَنة لم أقْدر عليه، ولستُ بتاركٍ طلبه أبداً!

قالوا: وما هو؟

قال: الكفُّ عمّا لا يَعنيني. [صفة الصفوة].

جزاء من تكلّم فيما لا يَعنيه

✓ **قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إذا رأيتَ قساوةً في قلبِك، أو وهناً في بَدَنِك، أو حِرماناً في رِزقِكَ؛ فاعلم أنَّك تكلَّمتَ بما لا يَعنيكَ).

[بحر الدموع].

✓ **قال سهل بن عبد الله التّستريّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** (من تكلَّم فيما لا يَعنيه؛ حُرِمَ الصّدق، ومن اشتغلَ بالفضول؛ حُرِمَ الورع، ومن ظنَّ بالنَّاس السّوء؛ حُرِمَ اليقين، **ومن حُرِمَ الثلاثة؛ هلكَ**) [السير].

قال أبو علي الروذباري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا سكن الخوفُ في القلب؛ لن يَنطق اللِّسان بما لا يَعينه)

[التذكرة الحمدونية].

عندما ينهلل الوجهُ

✓ دُخِلَ على ابن أبي دجانة وهو مريضٌ، فكان وجهُهُ يَتهلّل فقيل له: ما بالُ وجهِكَ يَتهلّل -يرحمكَ الله-؟

فقال: ما مِن عَمَلي شيءٌ أَوثق في نَفْسي من اثنتين: لم أَتكلَّم فيما لا يَعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً. [الصمت لابن أبي الدنيا].

علامة إعراض الله عن العبد

إنّها طامّة الطَّامات، وأعظم المصيبات؛ أنْ يُعْرِضَ اللهُ عن عبدِهِ، ويَخذله في موطن أَحوج ما يكون فيه إلى عونه ونُصرته، وإنَّ حَشْرَ الإنسان أَنْفَهُ فيما لا يَعنيه، وتدخله في أُمور الناس سببٌ من أسباب إعراض الله عنه.

⊙ قال الحسنُ البصريّ رَحِمَهُ اللهُ:

(من علامة إعراض الله عن العبد: أنْ يَجعل شغلَهُ فيما لا يَعنيه؛ خُذلانا من الله تعالى) [صفة الصفوة].

⊙قال يحيى بن أبي كثير: (يُفسد النَّمامُ والكذَّابُ في ساعة ما لا يُفسد الساحرُ في سَنَة) [بهجة المجالس وأنس المجالس].

قال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ: (كلامُ الرَّجل فيما لا يَعنيه؛ مَقتٌ من الله وَجَلَّ) [المجالسة].

المال

المالُ نعمةٌ إنْ أُحسِن استعمالُه؛ وما حَرَّمَ الإسلامُ -يوماً- الكسبَ الحلال وجمعَ المال؛ بل حثَّ عليه ورغَّبَ فيه، بيد أنَّ مكمن الخطر إذا استولى المالُ على القلب واستحوذ عليه، كان الهلاكُ والعطبُ.

✍ **قال يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن اضطررتم إلى طلب الدُّنيا، فاطلبوها ولا تُحِبُّوها، واشغلوا بها أبدانكم، وعلِّقوا بغيرها قُلوبكم) [صفة الصفوة].

✍ **وكان سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ يتَّجرُ في الزّيت، وخَلَّفَ أربعمائة دينار.

وقال : إنما تركتُها لأصونَ بها عِرضي ودِيني. [مختصر منهاج القاصدين].

✍ **وقال لقمان لابنه:** (يا بُني؛ استغن بالكسب الحلال، فإنّه ما افتقرَ أحدٌ إلا أصابته إحدى ثلاث خصال: رِقةٌ في دِينه، أو ضعفٌ في عقله، أو وهاءٌ في مروءتِه، وأعظم من هذا؛ استخفافُ النّاس به).

✍ **قالَ بَعضُ البُلَغاءِ:** (خَيرُ الأموَالِ ما أَخذته مِنْ الحَلَالِ وصَرَفته فِي النَّوَالِ، وشَرُّ الأَموالِ مَا أَخَذته مِن الحَرَامِ، وصَرَفته فِي الآثامِ) [أدب الدنيا والدين].

(الدَّرَاهِمُ مَرَاهِمُ؛ لأنها تُدَاوِي كُلَّ جُرْحٍ، وَيَطِيبُ بِهَا كُلُّ صُلْحٍ).

✍ **وقال بعض السلف:** (ثلاثةٌ يُمتحنُ بها عُقولُ الرِّجال: كثرةُ المال، والمصيبةُ، والولايةُ) [تسلية أهل المصائب].

أنت في نعيم

سأَلَ رجلٌ عبدَ الله بن عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما:
أَلَسْنَا مِن فُقَرَاءِ المهَاجِرِينَ؟
فقالَ لَهُ عبدُ الله: «ألكَ امْرأَةٌ تَأْوِي إِليها؟»... قال: نَعم.
قالَ: «أَلكَ مَسكَنٌ تَسْكُنُهُ؟»... قال: نَعم.
قالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ».
قال الرجل: فإِنَّ لِي خَادِماً!
قال عبدُ الله: «فأنتَ مِنَ المُلُوكِ» رواه مسلم

شتات القلب

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يَستعيذُ ويَدعو: اللهمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من تَفرقَةِ القلب!
قيل: وما تَفرقةُ القلب؟
قال: أنْ يجعلَ لي في كلِّ وادٍ مال. [الحلية].
وقال هشام: (سمعتُ الحسنَ البصريّ يحلفُ بالله: ما أَعزَّ أحدٌ الدِّرهمَ إلا أَذَلَّهُ اللهُ) [الحلية].

أصلُ الإثم

قال مالك بن دينار رحمه الله:
(يقولُ بعضُ أَهل العلم: نَظرتُ في أصل كلِّ إثم؛ فلم أَجدْهُ إلا حُبّ المال، فمن أَلقى عنه حُبّ المال؛ فقد استراحَ) [الحلية].

✍ وحدَّثَ حُميد بن هلال عن العلاءُ بن زياد رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه قال:

(رأيتُ النَّاسَ في النّوم يَتْبَعُونَ شيئاً؛ فتبِعْتُهُ، فإذا عَجوزٌ كَبيرةٌ هَتْماءُ[1] عَوْراءُ، عليها من كلِّ حِلْيَة وزِيْنَة! فقلتُ: ما أنتِ؟!

قالت: أنا الدُّنيا.

قُلتُ: أسألُ اللهَ تعالى أنْ يُبَغِّضَكِ إليَّ!

قالتْ: نعم؛ إنْ أبْغضتَ الدَّراهِمَ) [سير أعلام النبلاء].

مصيبتان

✍ قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مصيبتان لم يسمع –الأوَّلون الآخرون– مثلهما للعبد في ماله عند موته.

قيل: وما هما؟

قال: يُؤخذ منه كلُّهُ، ويُسأل عنه كلُّهُ.

✍ قيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري.

قال: رحمه الله. قالوا: ترك مائة ألف.

قال: لكن هي لم تتركه. [تذكرة الحفاظ].

✍ وقال مصطفى السّباعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (خلقَ اللهُ المالَ ليكونَ جَواز سَفرٍ إلى الجنَّة؛ فجعلتهُ أَطماعُ الإنسان جوازَ سَفرٍ إلى جهنّم) [هكذا علمتني الحياة].

قال شُميط بنُ عَجلان رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّما بَطنُك يا بنَ آدم شبر في شبر؛ فلم يُدخلك النَّار) [إحياء علوم الدِّين].

---

[1] الهتماء؛ المرأة التي ليس لها أسنان.

مجالسة الأغنياء والفقراء

● **قال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كنتُ أُجالس الأغنياء؛ فلا أزالُ مَغمُوماً! كنتُ أرى ثوباً أحسنَ من ثوبي، ودابةً أَفرَه من دابتي!!!

فجالستُ الفقراء؛ فاسترحتُ).

● **قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ما أَحسنَ تذلُّل الأغنياء في مجالس الفقراء، وما أَقبحَ تذلُّل الفقراء في مجالس الأغنياء) [الحلية].

● **وقال الشَّاعرُ يصفُ نظرةَ النَّاس للغني والفقير:**

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضِدَّهُ ... والنَّاسُ تُغلِقُ دونهُ أبوابَها

وتراهُ مَبغوضاً وليس بمُذنبٍ ... ويَرى العَداوةَ لا يَرى أسبابَها

حتّى الكلابُ إذا رأتْ ذا ثروةٍ ... خَضَعتْ لديه وحرّكة أذنابَها

وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً ... نَبَحت عليه وكشَّرت أَنيابها

العلاقات الزوجيّة

ذكر الشيخ عبد الملك القاسم في جمعه الطيّب «أطايب الجنى»:

(«وكَسْرها طلاقها[١]» حزنٌ دائمٌ، ودمعةٌ لا تفارق.

لكن إن فعلت: لا تَأْب أن تكون من المُتقين، لا تَأْب أن تكون من المحسنين، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال سعيد بن جبير: «لكلِّ مُطلَّقة متاع».

وأَذْكُرُ من فارقَ امرأَتَهُ ومَتَّعها ضِعفَ مَهْرِها، مع دعاءٍ لها بالتَّوفيق، وتعاهدٍ لأُمِّها بالزيارة).

---

١) حديث نبوي رواه البخاري ومسلم.

غيرة زوج وشهامته

قال محمد بن أحمد بن موسى القاضي: (حضرتُ مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالرّي سنة ست وثمانين ومائتين، وتَقدّمت امرأةٌ فادّعى وليُّها على زوجِها خمسمائة دينار مَهراً، فأنكرَ الزّوجُ!

فقال القاضي: شُهودك.

قال: قد أحضرتهم.

فاستُدعى بعضُ الشّهود أنْ ينظرَ إلى المرأة، ليُشير إليها في شهادتِهِ، فقام الشَّاهدُ، وقال للمرأة: قومي.

فقال الزّوج: تفعلون ماذا؟!

قال الوكيل: ينظرونَ إلى امرأتك، وهي مُسفِرة؛ لتَصِحَّ عندهم معرفَتُها!

فقالَ الزَّوجُ: وإني أشهد القاضي أنَّ لها عليَّ هذا المهر الذي تدعيه، ولا تُسفِرُ عن وجهها.

فرُدت المرأةُ وأُخبرت بما كان مِن زوجها.

فقالت: فإنّي أُشهدُ القاضي أنْ قد وهبتُ له هذا المهر، وأبرأتُهُ مِنه في الدُّنيا والآخرة.

فقال القاضي:.. يُكتبُ هذا في مَكارم الأخلاق).

[تاريخ بغداد].

الآباء والأولاد

شكا رجلٌ إلى عبد الله بن المبارك بعض ولدِه؛ فقال ابنُ المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: هل دعوتَ عليه؟

قال: نَعم!!

قال ابن المبارك: فأنت أَفسدتَهُ. [الإحياء].

الوالِد قدوة

⊙ **قال الفضيل بن عياض:** رأى مالكُ بن دينار رجلاً يُسيءُ صلاتَهُ [يصلي لكنّه لا يُحسنها]؛ **فقال:** ما أَرحَمني بعياله!

فقيل له: يا أبا يحيى يُسيءُ هذا صلاته، وترحم عياله؟!

قال: إنه كبيرهم، ومنه يَتعلَّمون!! [الحلية].

⊙ **وقال مُقاتل بن محمّد بن بنان العتكي:** حضرتُ مع أبي وأخي عند أبي إسحاق -إبراهيم الحربي - فقال إبراهيم لأبي:

هؤلاء أولادك؟

قال: نعم.

قال: احذر لا يَرونَكَ حيثُ نهاكَ اللهُ؛ فتسقطَ من أَعيُنِهم.

[صفة الصفوة].

بِرُّ الوالدين

عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ -رجلٌ من الصَّالحين-: نادته أُمُّه يوماً فأجابها، فعلا صوتُه!!! فأعتق رقبتين. [العقوق].

وهذا حيوة ابن شريح الإمام الرَّباني فقيه الدِّيار المصرية، كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقعد في حلقتِه يُعلِّمُ النَّاسَ. فتقول له أُمّه:

قم يا حيوة فألق الشّعير للدَّجاج، فيقوم ويَترك التعليم.

[البِرُّ والصلة لابن الجوزي].

تأمَّلوا.. يا طلبةَ العلم ويا أصحاب الجاه والمناصب حال هذا الإمام مع أمّه، بين تلاميذه تَصرُخُ عليه ليُطعم الدجاج؛ فيترك درسه، ويجيبُ نداءَها.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كان محمَّد ابن الحنفيّة يَغسل رأسَ أُمِّه ويمشطها) [بر الوالدين].

كان رجلٌ من النُّسَّاك يُقَبِّلُ كلَّ يوم قَدَمَ أُمِّه، فأبطأ يوماً على إخوته فسألوه.

فقال: كُنتُ أتمرَّغُ في رياض الجنَّة، فقد بَلَغَنا أنَّ الجنة تحت أقدام الأمَّهات. [صفوة الأخبار ومنتقى الآثار].

قال بِشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ:
(الولدُ بالقُرب من أُمّه حيث تسمع؛ أفضلُ من الذي يَضربُ بسيفه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، والنّظرُ إليها أفضل من كلِّ شيء) [بر الوالدين].

❖ **قال هشام بن حسَّان: قلت للحسن البصري:**
إني أَتعلَّمُ القرآن، وإنَّ أُمي تنتظرني بالعَشاء.
قال الحسن: تعشَّ العَشاء مع أُمِّك تقرُّ به عينُها؛ أحبّ إليَّ من حجّة تحجّها تطوعاً) [بر الوالدين].

❖ **وبكى الحارث العكلي رَحِمَهُ اللَّهُ في جنازة أُمِّه.**
فقيل له تبكي؟!
قال: ولِمَ لا أبكي وقد أُغلق عنّي باب من أبواب الجنّة. [ففيها فجاهد].

الحذر

✍ **ذكرَ ابنُ الجوزيّ في كتابِهِ «برُّ الوالدين» أنّ مجاهداً رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ:**
(لا يَنبغي للولدِ أنْ يَدفعَ يد والدِهِ إذا ضربَهُ، ومن شَدَّ النظرَ إلى والديه لم يَبرهما، ومن أدخل عليهما ما يحزنهما؛ فقد عقَّهما).

✍ **قال يزيد بن أبي حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ:** (إيجاد الحُجَّة على الوالدين عقوق).

والمعنى أن يأتي الإنسان –وإن كان على حقٍّ– بأدلة وبراهين لإثبات صحة قوله وسداد رايه، وتخطئة والداهُ أو أحدهما؛ فهذا من العقوق!!!

لله درّ الأم ما أرحمها

خطّت يدُ شاعر أبياتاً رقيقةً مُبكيةً، حَكى خلالها مَشاعرَ الأمِّ نحو ولدها، وحنانَها عليه رغمَ عِناده وقسوته؛ وكأنّي به قد تمثّل قول القائل:

(قلبي على ولدي، وقلب ولدي على حجر).

فصوّر المشهد قائلاً :

أَغرى امرؤٌ يوماً غلاماً ... بنقوده كيما ينالَ به الوطر
قال ائتني بفؤاد أُمِّك يا فتى ... ولك الدَّراهمُ والجواهرُ والدُّرر
فمضى وأَغرز خنجراً في صدرِها ... والقلبَ أخرَجَهُ وعادَ على الأثر
لكنّه مِن فَرْطِ سُرعَته هوى ... فتدَحرجَ القلبُ المقطَّعُ إذ عَثَر
نادهُ قلبُ الأمِّ وهو مُعَفَّرٌ ولدي ... حبيبي هل أصابَكَ مِن ضَرر
فكأَنَّ هذا الصوت رغمَ حنوِّهِ ... غضبُ السّماءِ على الغلام قد انهمر
فارتدَّ نحو القلب يَغسلُهُ بما ... فاضت به عيناهُ مِن دمع العِبر
وأدركَ سُوءَ فعلتِه التي ... لم يأتِها أحدٌ سِواهُ من البَشر
واستَلَّ خِنجَره ليَطعنَ نَفْسهُ ... طعناً فيبقى عِبرةً لمن اعتبر
ويقول يا قلب انتقم منّي ولا ... تَغفِرْ فإنّ جريمتي لا تُغتفَر
نادهُ قلــبُ الأمِّ كُـفَّ يــداً ولا ... تذبح فـؤادي مرَّتين على الأثـــر

الأُخوّة والصحبة

الحبُّ في الله

• **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : (والله إنّه ليَطولُ عليَّ الليل إذا تذكرتُ أَخي في الله؛ فأتمنى الصَّباحَ لأُعانقه شَوقاً إليه).

صحبة الصَّالحين

• **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه :

(ما أُعطي عبدٌ -بَعد الإسلام- خيراً من أخٍ صالح) [قوت القلوب].

• **قال الحسنُ البَصريُّ** رحمه الله: (إخواننا أَحبُّ إلينا من أهلِينا؛ لأنَّ إخوانَنا يُذَكِّرونا بالآخرة، وأهلُونا يُذَكِّرونا بالدُّنيا) [قوت القلوب].

• **قال مالك بن دينار** رحمه الله: (إنك أنْ تَنقُلَ الحجارةَ مع الأبرار، خيرٌ من أن تأكلَ الخبيصَ[1] مع الفُجّار) [روضة العقلاء].

• **وقال الأوزاعي** رحمه الله:

(سمعتُ بلال بن سعد يقول: أخٌ لك كلما لقيكَ ذكّرك بحظِّك من الله؛ خيرٌ لك من أخ كلَّما لقيك وضعَ في كفِّك ديناراً) [الحلية].

• **قال محمد بن يوسف** رحمه الله: (وأَيْنَ مثل الأخ الصَّالح؟!

أهلُك يَقْسِمون ميراثك، وهو قد تفرَّدَ بجدثك [قبرك]؛ يَدْعو لك وأنت بين أطباق الأرض) [الحلية].

---

١) نوعٌ مِن الحلوى.

• ويرى محمّد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الإخوان من مُتع الدُّنيا ولذّاتها فقال: (ما بقي في الدُّنيا شيءٌ أَلَذّهُ: إلاّ الصَّلاة في الجماعة، ولقاء الإخوان) [الحلية].

قال الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إنْ كُنَّا لنتبع الجنازة، فما نَدري من نُعزّي مِن حُزن القَوم)
[القبور لابن أبي الدنيا].

النّاس العذر

✓ قالت بنتُ عبد الله بن مُطيع لزوجِها طلْحة بن الرَّحمن بن عَوْف –وكانَ أَجوَدَ قُريشٍ في زَمانِهَ–:
مَا رأيتُ قوماً ألأَمَ مِن إخوانك!!

قال طلحةُ: مَه!! ولِمِ ذلكَ؟

قالتْ: أراهُمْ إذا أيْسرتَ لزِمُوكَ، وإذا أعْسرتَ تركُوكَ!

فقالَ لها: هذا –والله– مِن كَرم أخلاقهم، يأتونَنَا في حَالِ قدرتنا على إكرامهم، ويتركُوننا في حَالِ عَجزنا عن القيام بحقِّهم).

[أدب الدُّنيا والدين/ بتصرّف]

وفاءٌ بعد الوفاة

قال أيوب السّختياني رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إذا بلَغني موت أخ لي؛ فكأنّما سَقَطَ عُضو منّي) [رياضُ الأُنس].

وأقسمَ الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقال:
(والله؛ لقد أدركتُ أقواماً كان أحدهم يَخْلُفُ أخاهُ في أهله أربعين عاماً، يُنفقُ عليهم!) [الحلية].

✍ حدَّثَ أبو حنيفة –الإمامُ– عن شيخه حماد بن أبي سليمان رحمهما الله فقال: (ما صلّيت صلاةً مُنذُ مات حمّاد؛ إلا استغفرتُ له مع والديَّ، وإني لأستغفرُ لمن تعلّمتُ منه علماً، أو علّمته علماً) [تاريخ دمشق].

✍ وقال أحمد بن حنبل لولد الشافعيّ –رحم الله الجميع–:
(أبوك من السِّتة الذين أدعو لهم كلَّ ليلة وقتَ السَّحر) [صيد الخاطر].

✍ وقال أحد السَّلف: (يا أخي! إذا ذكَرتَني ادعوا لي، وإذا ذكرتُك ادعوا لك، فإذا لم نلتقي؛ فكأنما قد التقينا).

هل تُرانا نلتقي؟!!

✍ قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: (لولا أَنَّ القلوبَ تُوقِنُ باجتماع ثانٍ؛ لتفطّرت المرائرُ لفِراق المُحبِّينَ) [المنتظم].

هل تُرانا نلتقي أم أنّها ... كانت اللُّقيا على أرض السّراب
ثم ولّت وتلاشـى ظِلُّهـا ... واستحالت ذكرياتٍ للعـذاب

✍ ومن روائع ما قيل: (كلُّ القلوبِ تفترق؛ إلا المتحابّين في الله، فإنَّ مَوعِدَها الجنَّة).

✍ قال عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقدُ الأَحبّة غُرْبة) [السير].

✍ وقالوا: (من أشدِّ العذاب؛ فُرقةُ الأحباب) [بهجة المجالس].

ودعتُ قَلبي حينَ ودعتُهم ... وقلتُ يا قلبي عليك السَّلامُ
وصحتُ بالنّوم انصرف راشداً ... فإنَّ عيني بَعدهـم لا تنامُ

إكرام الضيف

بَعد أنْ ذَكرَ ابنُ عبد البَرِّ قولَ رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفهُ، جائزته يوماً وليلة، والضيافةُ ثلاثة أيام، وما زادَ فهو صدقة، ولا يَحلّ أنْ يثوي عنده حتى يُحرجَهُ» [صحيح الترغيب].

قيل للأوزاعي: رجلٌ قَدَّمَ إلى ضيفِه الكامخ [أي: الإدام أو المخللات] والزّيتون، وعندهم اللحمُ والعسلُ والسَّمنُ؟

فقال: لا يؤمن هذا بالله، ولا **باليوم** الآخر! [بهجة المجالس].

قالوا: (إنَّ داراً لا تَعرفُ الضيفَ؛ مقبرة لساكنيها).

أضاحكُ ضيفي قَبل أنْ أُنزلَ رحلَهُ ... لينزل عندي والمحلُ جَديبُ

وما الخصبُ للأضياف أنْ تُكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيبُ

حقّ الجار

✍ باع أبو الجهم العدوي داره بمائة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جوارَ سعيد بن العاص؟

قالوا: وهل يُشترى جوارٌ قطّ؟!

قال: ردّوا عليَّ داري، ثُمَّ خذوا مالكم، لا أَدعُ جِوار رجل إنْ قعدتُ سألَ عنّي، وإنْ رآني رحَّبَ بي، وإنْ غبتُ حفظني، وإنْ شهدتُ قرَّبني، وإنْ سألتُه قضى حاجتي، وإنْ لم أَسأله بدأني، وإنْ نابتني جائحةٌ فرَّج عنّي.

فبلغ ذلك سعيداً؛ فبعث إليه بمائة ألف درهم. [وفيات الأعيان].

جاور إذا جاورتَ بَحراً أو فتى ... فالجارُ يَشرُفُ قَدْرُهُ بالجار

✍ قَالَ الحُكَمَاءُ: (مَن أَجَارَ جَارَهُ أَعانَهُ اللهُ وأَجَارَهُ) [أدب الدُّنيا والدِّين].

فتنة النِّساء

✍ **قال عبد الله بنِ مسعود** رضي الله عنه: (لأن أُزاحِمَ بَعِيراً مَطلِيًّا بِقَطِرَان[1]، أَحبّ إليَّ مِن أن أُزَاحِمَ امرأةً) [مصنف ابن أبي شيبة].

✍ **قال سعيد بن المسيّب** رحمه الله:

(ما يئسَ الشيطانُ من شيء؛ إلا أتاهُ من قِبَل النِّساء) [السير].

✍ **قال علي بن زيد** رحمه الله: **قال لنا سعيد بن المسيب** -وهو ابن أربع وثمانين سَنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يَعشُو بالأُخرى-:

(ما من شيء أخوف عندي من النِّساء) [السير].

قَالَ بعضُ الحكماء:
(مَنْ أَرْسَلَ طَرْفَهُ اسْتَدْعَى حَتْفَهُ) [أدب الدنيا والدِّين].

✍ **وقال أبو بكر المروزيِّ** رحمه الله: **قلتُ لأحمد بن حنبل:**

رجلٌ تاب، وقال: لو ضُربَ ظهري بالسِّياط ما دخلتُ في معصية الله؛ إلا أنَّه لا يَدَعُ النَّظرَ [أي: للنِّساء].

فقال الإمامُ أحمد: أيُّ توبةٍ هذه؟! [السير].

---

[1] دواء يُدهنُ به البَعيرُ لعلاج الجَرَب.

خطر

✍ قال أبو المليح رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سمعتُ ميمون بن مهران يقول: لأنْ أوتمن على بيت مالٍ؛ أحبّ إليَّ من أنْ أُوتمن على امرأة) [السير].

✍ كان الرَّبيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ يغضُّ بَصَرَهُ، فمرَّ نِسوة؛ فأطرق بَصَرَهُ حتّى ظنَّ النِّسوةُ أنَّه أَعمى، فتعوّذنَ بالله من العمى!

✍ وقال عطاء بن أبي رَباح رَحِمَهُ اللَّهُ: (لو ائتُمِنتُ على بيت مالٍ؛ لكنتُ أميناً، ولا آمنُ نفسي على أَمَةٍ[1] شوهاء) [السير].

قالَ بعضُ الحكماء: (إيَّاكَ وَمُخَالَطَةَ النِّسَاءِ؛ فإنَّ لَحْظَ المَرْأَةِ سَهْمٌ، ولَفْظَهَا سُمٌّ) [أدب الدنيا والدِّين].

وإذا كانت النفوس كباراً..

وصلَ الأمرُ بالصَّالحين إلى حدٍّ يُتعجَبُ منه؛ فالتَّقوى حالت بينهما وبين معصية الله حتّى في المنام!

✍ قال محمّدُ بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله ما نظرتُ إلى غيرِ أمِّ عبد الله - يعني: زوجَتَهُ- في يَقَظَةٍ ولا مَنَامٍ، وإنِّي لأَرى المرأةَ في المنام؛ فأذكُرُ أنّها لا تَحِلُّ لي؛ فأصرِفُ بَصَري عنها).

عقَّبَ بعضُهم على هذا الخبر فقال: (ليت عقلي في اليَقظة، كعقل ابن سيرين في المنام) [أطايب الجنى].

---

[1] الأَمَةُ؛ هي المرأةُ من العَبيد.

عقوبة

✓ **قال عمرو بن مرة رحمه الله:** (نظرتُ إلى امرأةٍ فأعجَبَتني؛ فكُفَّ بَصري، فأرجو أنْ يكونَ ذلك جزائي) [الحلية].

✓ **وكتبَ إبراهيمُ بن أدهم إلى سُفيان الثّوري:**

(مَن عَرفَ ما يَطلبُ؛ هانَ عليه ما يَبذلُ، ومن أَطلقَ بَصَرَهُ؛ طالَ أسفُهُ، ومن طالَ أملُهُ؛ ساءَ عملهُ، ومن أطلقَ لسانَهُ؛ قَتَلَ نَفْسَهُ) [البداية والنهاية].

جنبوا

✓ **قال الأحنفُ بن قيس رحمه الله:** (جَنِّبوا مجالِسَنا ذِكرَ النِّساء والطّعام، إنّي أُبغضُ الرَّجلَ يكونَ وصَّافاً لفَرجِه وبَطنِه) [السير].

طريق العظمة

قالوا:

(توجدُ في طريق العظمة **خمسةُ موانِع**: الكَسلُ، **وحُبُّ النِّساءِ**، وانحِطاطُ الصّحةِ، والاشتياقُ إلى الوطن، والإعجابُ بالنَّفْس).

✓ **وقال ابن الجوزي رحمه الله:** **(من مَالَ إلى النِّساءِ؛ لم يَصْفُ له عَيشٌ)** [صيد الخاطر].

الزنا

☠ قال أحدُ العارفين:

(الزِّنا عارهُ يَهدمُ البيوتَ الرَّفيعة، ويُطأطئُ الرؤوسَ العالية، ويُسوِّدُ الوجوهَ البيض، ويُخرسُ الألسِنة البليغة، ويهوي بأطول النَّاس أَعناقاً وأسماهم مَقاماً وأعرقهم عزّاً إلى هاوية من الذلِّ والازدراء والحقَارة، ليس لها من قرار.

وهو أَقدرُ أنواع العار على **نزع ثوب الجاهِ**؛ مهما اتَّسع، وهو لُطخة سوداء؛ إذا لَحَقت أُسرة غمرت كلّ صحائفها البيض، وتركت العيون لا ترى منها إلا سواداً حالكاً، وهو **العارُ الذي يَطُولُ عمره طويلاً**.

فقاتله الله من ذنب! وقاتل فاعليه!!).

☠ **وجاء في كتاب «أطايب الجنى» لعبد الملك القاسم:**

سأَلَ أحدُ الوزراء الإنجليزي سفيرَ الدّولة العثمانية -في حينها-: لماذا تُصِرُّون على أنْ تبقى المرأة المسلمة مُتَخلِّفة، معزولة عن الرِّجال ومحجوبة عن النّور؟

قيل: (لا شيءَ يَرفعُ قَدرَ المرأةِ كالعفّةِ)

فما كان من السفير العثماني إلا أن قال: إن نساءنا -المسلمات- لا يَرغَبْنَ أن يَلِدْنَ إلَّا من أزواجهنّ.

الغناء

خطره

⊙ جاء في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي أنّ يزيد بن الوليد رحمه الله قال:

(**يا بَني أُميّة!** إيّاكم والغِناء؛ فإنّه يُنقص الحياء، ويَزيدُ في الشَّهوة، ويَهدمُ المروءة، وإنّه لينُوبُ عن الخمْر، ويَفعلُ ما يفعل المسْكِر.

فإنْ كنتم لا بُدَّ فاعلين؛ فجنِّبوهُ النِّساء، فإنّ الغناءَ داعيةُ الزِّنا).

التاريخ يشهد

طلب منّا مصطفى السِّباعي أنْ نستنطقَ التاريخَ ونسأله عن الغِناءِ وأهلِهِ. فقال رحمه الله:

(سلُوا التاريخَ: هل أفلَ نَجمُنا؛ إلا يومَ سَطعتْ نُجومُ المغنِّين، وقَوِيَت دولةُ الرَّاقصات في سماءِ حضارتنا) [هكذا علَّمتني الحياة].

الحكام والملوك

إنها أمانة

✍ **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (لو ماتت شاةٌ على شطِّ الفُرات ضائعة؛ لظننتُ أنَّ الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة) [حلية الأولياء].

✍ **وقال عطاء بن أبي رباح** رحمه الله: حَدَّثتني فاطمة امرأةُ عمرَ بن عبد العزيز: أنّها دخلت عليه، فإذا هو في مُصلاه؛ يدُهُ على خدِّهِ، سائلةٌ دُمُوعه، **فقلتُ**: يا أَميرَ المؤمنينَ! ألشيء حَدَثَ؟!

قال: يا فاطمة! إنّي تَقَلّدتُ أَمرَ أُمّةِ محمَّدٍ ﷺ؛ فتفكَّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعَاري المجهُود، والمظلوم المقهُور، والغَريب المأسُور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض؛ فعَلِمتُ أنَّ رَبيّ سيَسأَلني عنه، وأنَّ خصمهم دونهم محمَّد ﷺ، فخَشيتُ ألا تثبتَ لي حُجَّة عند خصومتِهِ؛ فرحِمتُ نَفسي فبكيتُ. [السير].

هذا صوتُ رحمته

✓ **قال عبد العزيز بن يزيد الأَيلي** رحمه الله:

حَجَّ سليمانُ بن عبد الملِك ومعهُ عمر بن عبد العزيز، فأَصابَهم بَرْقٌ ورعدٌ؛ حتّى كادت تَنْخلِع قُلوبُهم.

فقال سليمانُ: يا أبا حفص! هل رأَيتَ مِثل هذه الليلة قطّ أو سمِعتَ بها؟

قال عمر: يا أميرَ المؤمنينَ! **هذا صوتُ رحمة الله، فكيف لو سمعتَ صوتَ عذابِ الله؟!** [السير].

ظننتك ساهراً

✍ **دخلت امرأةٌ عجوز على السُّلطانِ سليمان القانوني** تشكو إليه جنودَه الذين سرقوا لها ماشيتَها بينما كانت نائمة.

فقال لها السلطان: كان عليك أنْ تَسهري على مواشيك؛ لا تنامي!

فأجابت العجوز:

ظننتُكَ ساهراً علينا يا مولاي! فنِمْتُ مطمئنة البَالِ!

✍ **عبد الرَّحمن الناصر**، من ملوك الأندلس حكم خمسين سنة، يقول بعد هذا الملك والحكم: عددتُ الأيام السَّعيدة في حياتي –بلا مُنغصات–؛ **فوجدتها أربعة عشر يوماً.**

قُرْبُ السُّلطان

✓ **قال محمَّد بن واسع** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقَضمُ القَصب، وسَفُّ التُّراب؛ خيرٌ من الدُّنو من السُّلطان) [الحلية].

✓ **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنْ يدنو الرَّجلُ من جيفة مُنتنةٍ؛ خيرٌ له من أنْ يدنو إلى هؤلاء [يعني: السَّلاطين]).

> **قال الفضيلُ: (من عَشِقَ الرياسة؛ فقد تُودِّعَ من صلاحِهِ).**

✓ **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: (رجلٌ لا يُخالط هؤلاء [أي: الحكام]، ولا يزيدُ على المكتوبة؛ أفضلُ عندنا من رجل يقومُ الليل، ويصومُ النهار، ويحجُّ، ويجاهدُ في سبيل الله، ويخالطهم) [الحلية].

✓ **قال عمر بن عبد المجيد رَحِمَهُ اللَّهُ:**

اعتمَّ شَهر بنُ حَوشب [أي: لبس عمامته]، وهو يُريد سلطاناً يأتيه؛ ثم أخذ المرآةَ، فنظرَ في وجهِهِ وعمامتِهِ؛ فنظرَ إلى لحيته فرأى شيبَةً، فأخذَها بيدِهِ، ثم نَفَضَ عمامته، **ثمّ جعلَ يقول:**

السّلطانُ بعد الشيب!! السلطانُ بعد الشيب؟! [تاريخ دمشق].

✓ **وقيل لعلقمة بن قيس النَّخعي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

ألا تدخل على السّلطان فتَنْتَفِعَ؟!

قال: إني لا أُصيبُ من دُنياهم شيئاً؛ إلا أصابوا من دِيني مِثْلَهُ.

[صفة الصفوة].

✓ **قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

(إيّاك والأمراء أن تدنو مِنهم، وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإيّاك أن تُخدعَ، فيقالُ لك: تَشفع، وتَدرأ عن مَظلوم، أو تَردّ مَظلمة، فإنَّ ذلك خَديعة إبليس) [الحلية].

✓**وقال:** (إنْ دعاكَ هؤلاء الملوك تَقرأَ عليهم: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾؛ فلا تجئهم، **فإن قُربَهم مَفسدةٌ للقلب**) [الجرح والتعديل].

من البلاء

✓ **ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ:** (ثلاثٌ لا تَبلُونّ نَفْسَك بهنَّ: لا تدخل على السُّلطان؛ وإنْ قلت: آمره بطاعة الله، ولا تُصغينَّ بسمعك إلى هوى؛ فإنّك لا تدري ما يَعْلَقُ بقلبِك منه، ولا تدخل على امرأة؛ ولو قُلتَ: أُعلِّمها كتابَ الله) [السير].

اللهمَّ أنسِه ذِكْري

✓ قال حمّادُ بنُ زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان أَيوب السّختياني صَديقاً ليزيد بن الوليد، فلمّا ولي يزيدُ الخلافةَ، قال أَيوبُ: اللهمَّ أَنْسِه ذِكْري! [السير].

الكرسي غالي

✓ قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وكم قد رأيتُ أولئك الحكام يَتعبَّدون، ويَطلُبون العِلم؛ غير أنّهم لما خافوا على رياستهم أنْ تَزولَ؛ تركوا جانِبَ الدِّين) [صيد الخاطر].

كما تكونوا يولّى عليكم

✓ قال المأمون لمحمّد بن يزداد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إيّاك أنْ تعصي الله فيما تَتَقَرَّبُ به إليَّ؛ فيُسلِّطني عليك!) [سراج الملوك].

✓ قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لم أزل أسمع النّاسَ يَقولونَ: أعمالكم عمّالكم، كما تكونوا يولّى عليكم، إلى أنْ ظفرتُ بهذا المعنى في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾).

✓ وقال عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ما أنصفتمونا يا مَعشَرَ الرَّعية! تُريدون منَّا سِيرةَ أبي بكر وعُمر؛ ولا تَسيرونَ فينا، ولا في أنفسكم بسيرتهما؟!).

موت العظماء

♦ **لما حضرت الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان الوفاةُ**، نَظرَ إلى غسَّالٍ بجانب دمشق؛ يَلوي ثَوباً بيَدِهِ، ثمَّ يَضربُ به المغسلة:

فقال عبد الملك: ليتني كنتُ غسّالاً آكلُ من كسب يدي يوماً بيوم، ولم أل من أمر الدُّنيا شيئاً.

فبلغَ ذلك أبا حازم -سلمةَ بن دينار- فقال:

الحمدُ لله الذي جعلهم إذا حضَرَهم الموتُ يَتمَنّونَ ما نحنُ فيه، وإذا حَضَرَنا الموتُ لم نتمنَّ ما هم فيه. [إحياء علوم الدِّين].

♦ **وجعلَ الخليفةُ عبد الملك يقولُ لما حضرته الوفاةُ:**

والله لوددتُ أنّي عبدٌ لرجل مِن تهامة، أَرعى غُنيمات في جبالها، ولم ألي[1]. [تسلية أهل المصائب].

♦ **وقَالَ زُرْقَانُ بنُ أَبِي دُوَادَ:** لما احتضرَ الخليفة هارون الواثق بالله؛ جعلَ يردّد هذين البَيتين:

الموتُ فيه جميعُ الخَلْق مُشترِكٌ ... لا سُوقةٌ منهمُ يبقى ولا مَلِكُ

ما ضرَّ أهلَ قليل في تفاقرهم ... وليس يُغنى على الأملاك ما مَلكوا

ثُمّ أمرَ بالبُسطِ فطُوِيَت وأَلصَقَ خدَّهُ بالأرض **وجعلَ يقولُ:**

يا مَن لا يزُولُ مُلكُهُ ارحَمْ من قَد زالَ مُلكُهُ. [مختصر تاريخ دمشق].

---

١) أي أتولى الحكم والخلافة.

العدلُ أساسُ الحُكمِ

✓ **قال ابنٌ لشُريح القاضي لأبيه:**

بيني وبين قوم خصومة، فانظر فيها؛ فإن كان الحقُّ لي خاصمتُهم، وإنْ لم يكن لي الحقُّ لم أخاصمهم، فقصَّ قصّته عليه.

فقال شُريحٌ لابنِه:

انطلق فخاصِمْهُم، فانْطلق إليهم فخاصَمَهُم إليه، **فقضى شُريحٌ على ابنه!!**

فقال الولد له -لما رجع إلى أهله-: والله! لو لم أتقدّم إليك بطلب النُّصح لم أَلُـمْك، فضحتني!

فقال القاضي شُريح:

والله يا بُنيَّ! لأنت أَحبّ إليَّ من ملء الأرض مثلهم، ولكنَّ الله هو أعزُّ عليَّ منك أنْ أُخبرك أنَّ القضاء عليك فتصالحَهم؛ فتذهبَ ببعض حقِّهم.

[صفة الصفوة].

إذا جارَ الأميرُ وحَاجِباهُ ... وقاضي الأرض أَسرفَ في القضاء

فـويـلٌ ثم ويـلٌ ثم ويـلٌ ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

العدل أمانٌ للبلاد

كتبَ بعض عمالِ عمرَ بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إليهِ: أما بعدُ.. فإنَّ مدينتَنا قدْ خرِبَت، فإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ أن يَقطعَ لها مالاً يَرُمُّها به؛ فَعلَ.

فكتبَ إليه عمرُ: أما بَعدُ.. فقد فهمتُ كتابَكَ وما ذكرتَ أنَّ مدينتكم قد خربتْ؛ فإذا قرأتَ كتابي هذا؛ فحصِّنْها بالعدلِ، ونَقِّ طرقَها مِنَ الظلْمِ؛ فإنَّه مرمَّتُها[1].. والسّلام. [المورد العذب المعين].

النصر والتمكين

قالَ حكيمٌ: (الأمنُ أهنأُ عَيْشٍ، والعَدْلُ أَقوَى جَيشٍ) [أدب الدُّنيا والدِّين].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإنَّ النَّاسَ لم يَتنازعُوا فِي أنّ عاقِبَةَ الظُّلمِ وخِيمَةٌ، وعاقِبَةَ العَدْلِ كرِيمةٌ، ولهذا يُرْوَى: اللهُ ينصرُ الدَّولةَ العَادلةَ وإنْ كانت كافرةً، ولا يَنصرُ الدَّولةَ الظَّالمةَ وإنْ كانت مُؤمنةً) [الفتاوى].

وفي كتابه «لو كنتُ طيراً» قالَ سلمان العودة:

(سُئل بعض مُلوك الفُرس: بم دامَ مُلكُكم؟

قال: لأننا نُعاقِبُ على قدْر الذّنبِ، لا على قدْر الغَضب).

قال مُصطفى صادق الرَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إذا فَسَقَ الحاكِمُ؛ فَقَد حَكَمَ الفِسْق).

---

[1]) يُرمّها: ترميمها وإعادة صيانتها.

الظلم

☜ **قال معاوية رضي الله عنه :**

(إني لأستحي أنْ أَظلم من لا يَجدُ عليَّ ناصراً إلا الله).

☜ **قال الأحنف بن قيس رحمه الله:**

(إذا دعتكَ نفْسُك إلى ظلم النَّاس؛ فاذكر قدْرةَ الله على عقوبَتِك، وانتقامَ الله لهم مِنْك، وذهابَ ما أُتيت إليهم عليك) [التذكرة الحمدونية].

☜ **وقال يوسفُ بن أسباط رحمه الله:**

(من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحبَّ أنْ يُعصى الله).

[التذكرة الحمدونية].

لا تظلِمَنَّ إذا ما كُنتَ مُقتَدِراً ... فالظُّلمُ ترجعُ عُقباهُ إلى النَّدم

تنامُ عيناك والمظلـومُ مُـنتَبِــهٌ ... يَدعو عليك وعَينُ الله لم تَنَــم

☜ **وقال السّيوطي رحمه الله في كتابه «دُرر الكلم وغُرر الحِكم»:**

(من يَظلم الضّعيفَ الـمَهين؛ يَذُق أشدَّ العذابِ الـمُهين).

قصة من التاريخ

لما حُبس جعفر بن يحيى بن خالد البَرْمَكيّ وأبيه قال لأبيه -وهُما في القيود والحَبْس-:

يا أبتِ! بَعدَ الأمر والنَّهي، والأموالِ العظيمة؛ أصارَنا الدَّهرُ إلى القُيُودِ، ولبس الصُّوفِ والحَبْس!

فقال له أبوه: يا بُنيَّ! دَعوةُ مظلوم؛ سَرَتْ بليل غَفَلنا عنها! ولم يَغْفُل اللهُ عنها!

ثمّ أنشأ يقول:

رُبَّ قوم قد غَدَوْا في نَعْمةٍ ... زَمَناً والدَّهرُ رَيَّانٌ غَدَقْ
سَكَتَ الدَّهرُ زَمَاناً عنهـمُ ... ثمَّ أبكاهُمْ دَماً حِينَ نَطَـقْ

[تاريخ بغداد].

▣ حَبَسَ الحجاجُ رجلاً ظُلماً، فكَتَبَ الرَّجلُ إليه رُقعةً فيها:

قد مَضى مِن بُؤسِنا أيام، ومِن نَعيمك أيام، والموعدُ القيامة، والسِّجنُ جَهنَّم، والحاكمُ لا يحتاجُ إلى بَيّنة، **وكَتَبَ في آخرها:**

ستَعلمُ يا نؤومُ إذا التقينا ... غداً عند الإله من الظّلومُ
أمَا واللهِ إنّ الظُّلمَ لؤمٌ ... وما زالَ الظلومُ هو الملومُ
سَيَنقطعُ التَّلذذُ عن أُناس ... أدامُوه ويَنقطعُ النَّعيمُ
إلى ديَّان يوم الدِّين نمضي ... وعندَ اللهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ

الفهرس

مقدمة	٣
الإهداء	٤
حَبسُ الأنفاس	٥
السِّباق إلى الله	٩
النَّعيمُ لا يُدركُ بالنَّعيم	١٥
حياة أوقفت لله	١٧
الطاعة	١٨
الحياة الطيبة	٢١
صفات العبد الصادق	٢٢
مناجاة الله والأنس به	٢٤
أولياء الله	٣١
الإخلاص	٣٥
هذا هو الله	٣٩
الرجاء	٤١
الخوف من الله	٤٣
مراقبة الله	٤٥
البكاء من خشية الله	٤٦
سِترُ الله	٤٧
التَّوكل على الله	٤٨

حنينُ المحبينَ إلى الرسول الأمين ﷺ	٥٠
صدق الاتِّباع	٥٢
السُّنّة وغربةُ أهلها	٥٣
الصحابة رضي الله عنهم	٥٥
الزُّهد	٥٧
لذات الدنيا	٥٩
الموت	٦٠
الجنَّة والنار	٦٧
الورع	٦٩
محاسبة النفس	٧٢
التوبة الصادقة	٧٣
الذّنوب والمعاصي	٧٤
الخسران المبين	٨٢
القلب قسوته والعلاج	٨٤
الصَّلاة	٩١
قيام الليل	٩٦
الصيام ورمضان	٩٩
الحجّ والعمرة	١٠٤
الجهاد	١٠٨

القرآن الكريم	١١١
ذكر الله عزَّ وجلَّ	١١٧
الاستغفار	١٢٠
الدُّعاء	١٢٣
العلم والعلماء	١٢٥
الفتوى والإفتاء	١٣٥
سلامة الصدر	١٣٨
الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكر	١٤٠
الرِّزق على الله	١٤٤
ستر الأعراض	١٤٩
إحساس مرهف	١٥٢
الأخلاق	١٥٧
التواضع	١٥٨
الحلم	١٦١
الصبر	١٦٢
الوفاء	١٦٣
الكذب	١٦٤
الحسد	١٦٥
الجدل	١٦٧

إغاثة اللهفان	١٧١
ذم البخل	١٧٦
اللسان.. الصمتُ والكلام	١٧٧
اللعن والسبّ	١٧٨
الغيبة	١٨٠
الكلام فيما لا يعني	١٨٣
المال	١٨٥
العلاقات الزوجية	١٨٩
الآباء والأولاد	١٩١
الإخوّة والصحبة	١٩٥
إكرام الضيف	١٩٨
حق الجار	١٩٨
فتنة النِّساء	١٩٩
كبيرة الزِّنا	٢٠٢
الغناء	٢٠٣
الحكام والملوك	٢٠٤
موت العظماء	٢٠٨
العدلُ أساسُ الحُكم	٢٠٩
الظلم	٢١١

الله
جل جلاله